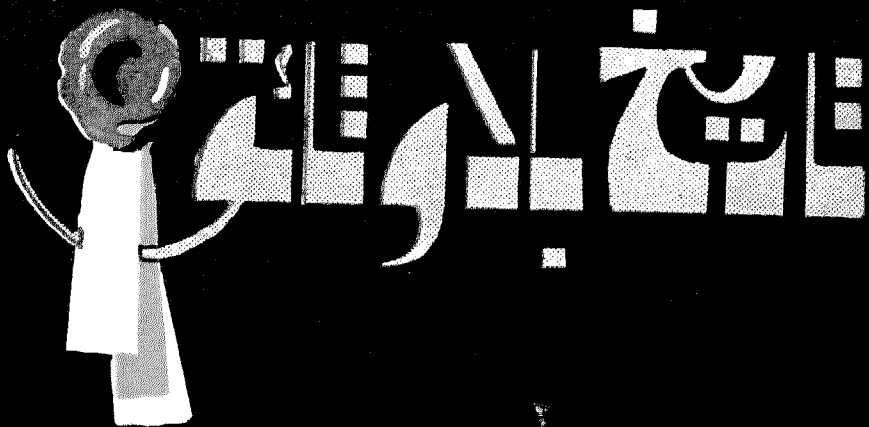


الدكتور ابراهيم عبده



اهداءات ٢٠٠١

أ.د. محمد دياب

جراح بالمستشفى الملكي المصري

تاريخ بلاد وناش

يقلم
الدكتور إبراهيم عبده

١٩٧٥

الناش
مؤسسة سجل العدي

العلاقة بريشة المفتن حسين بيكار

محتويات الكتاب

صفحة

٥	الإله—دعاء
٧	دعاء من أجل السادات
٩	مقدمة
١٥	أهى ثورة بلا نسب ؟
٣١	الثورة تأكل بذورها
٤٣	ما لكم وفرعون !
٥٥	جرائم لا سلبيات
٦٧	تاريخ الهوى
٧٩	ولتسارأى
٩١	منجزات الاتحاد الاشتراكى
٩٣	حسم الأمور
١٠٧	الناصرية دين ودنيا
١١٧	جاء قى الأثر : ولا تعلموا أولاد السفلة العالم
١٤١	كتب للمؤلف...

الإهداء

إلى أولئك الذين مسَّهم الضرُّ
فكشفوا عن رءوسهم ودعوا الله ...

دعاء من أجل السادات

اللهم احمه من فيض هذا النفاق الذى أفسد من قبل رئيساً وملكاً ...
اللهم زده إيماناً بالحسنين ... دينه ووطنه ...
اللهم افتح صدره لكلمة الحق ، وقلبه لنور الحرية ، وعينه لما يحيط به ...
اللهم ذكره بما فاته ، وبصره بما هو مقبل عليه ، حتى يستدرك
ما فات ، وينجو مما هو آت ...
اللهم إنك كتبت له خالد الذكر حين ربّت على مواجع الأيام ، ومسح
دموع اليتامى ، وأنصف المظلومين ، ورد حقوق المضييعين ، وأطلق
سراح المعتقلين ، فثبت اللهم أقدامه حتى يستكمل ما بدأ ويحمي ما صنع ...
اللهم اصرف عنه كلمة السوء ، واغفر له ما ادعى لنفسه من سلبيات ،
فإنك سبحانه القائل ... والحسنات يذهبهن السيئات ...
اللهم إنى لا أنافقه ولا أترضاه ، فهو بشر مثل لا يملك لى حظاً
فى الدنيا ولا مكاناً فى الآخرة ، ولكنه دعاء من أحسن الظن بجادى التافلة
بعد أن تاهت فى عواصف الأمل وضيّعها ظلام الطريق ...

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

وعَدت في كتابي الأخير «الوسواس الخناس» أن أنصرف إلى دراسة التجربة التي مرت بها مصر منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ إلى ١٥ مايو ١٩٧١ : وأن أقدم هذه الدراسة موثقة مسندة إلى حقائق مسجلة وبيانات صحيحة ، بحيث تبجىء دراسة علمية دقيقة لا يختلف في أصولها اثنان ، ولا تنتطح في أمرها عنزان ...

وحاولت - كأي مؤرخ - أن أجمع حقائق دنيانا التي عشناها منذ انقلاب محمد نجيب إلى ثورة السادات ، فإذا الذي رجعت إليه ، معظمه - في ظني - لا يرقى إلى ما أعرف من معنى للوثائق والأسانيد.

قرأت مثلاً ، خطب الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وكتبه ومواثيقه ؛ فهو صاحب النصيب الأكبر في تاريخ معظم هذه الفترة ، بل هو على وجد اليقين سيد الموقف منذ انقلاب مارس ١٩٥٤ إلى يوم رحيله في ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ .

وللأسف الشديد لم أجد فيما ألقى الراحل من خطب أو كتب من موثيق أو أعلن رأيه في مؤتمرات عامة ، أو أعطى من أحاديث ، انعكاساً على الواقع الذي عشناه ، فهو في كتبه وخطبه ومواثيقه وأحاديثه مهد لنا الطريق إلى الجنة ! ووعدنا بالرزق الموصول ! وحدثنا عن حياة للمواطنين مرفهة كريمة تُرفع فيها رؤوسهم بعد أجيال من الذل والاستعباد ! ثم أصنر قرارات تتصل بالحريات ونظم الحكم هي غاية ما يرجوه الرعايا من راعيهم ، بيد أن شيئاً من ذلك لم يتحقق ولم يوضع قط موضع التنفيذ ! ...

ولكى أكون دقيقاً لم أعتمد على ذاكرتى فى دراسة الأحداث ، وعدت إلى صحف ذلك الزمان ، فإذا هى جميعاً صورة واحدة مقالاً وأخباراً وتبويباً وإعلاناً ، ورأيها جميعاً تحمل الطلبة والمزمار حتى كاد رأسى أن ينفجر مما قرأت وأصابنى الغثيان من رتابة النغم وأسلوب الإيقاع ...

ثم قرأت كتباً وأوراقاً صدرت عن مصلحة الاستعلامات وعن تحالف قوى الشعب العاملة التى يمثلها الاتحاد الاشتراكى ، ورجعت إلى الكتب الرسمية التى توزع على تلاميذ المدارس وتحكى المفاخر والأعجاد ، كما عدت إلى ما كتب المرتزقة اللبنانيون ونشروا فى بيروت من مؤلفات رعاها سفيرنا ومدعم لطبعها وتوزيعها بملايين الليرات أو ملايين الجنيهات ، وعجبت لم كل هذا الجهد ؟ فالكتب كلها صورة واحدة كصحف مصر فى ذلك الحين ، وكان يكفى أن يقتصر على صحيفة واحدة يقرؤها المصريون ، وكتاب واحد تنشره إحدى هذه الهيئات ، فإن المتن سواء فى الصحف أو الكتب تكرر ثقيل وممل لأعجاد وهمية ومغالطات غبية ، ولكنها الدعاية الفطيرة السمجة التى رسمت وخططت حتى لا يغيب عن الأذن النقر على الطلبة أو النفخ فى المزمار ؟ ! ..

وحاولت أن أستخلص الحقائق من بعض الأفراد الذين كانوا أشد الناس قرباً من الساطان أو لهم نصيب فى هذا السلطان ، وهم مصدر له وزنه وأصالته ، فلم أجد عند معظمهم إلا القليل ، والقليل الذى عندهم لا يخلو من الغرض أو يبرأ من الكذب والنفاق ! ..

حاولت أن أدرس السياسة الخارجية فى عهد عبد الناصر ، فبدأت

بقضية الكونغو وزعيمها لومومبا وخصمه تشومبي ونصيبنا في هذا كله فلم أجد ورقة صادقة تكشف عن هذا النصيب سواء اتصل برجالنا الذين حاربوا وماتوا ، أو بمالنا الذى بذر وراح هباء .

وأردت أن أعرف بالدقة شيئاً عن حرب انمين ... الفيالق التى ذبحت في جبال ذلك، البلد التعس السعيد ! ومئات الملايين التى صرفت على « التجريدة » التى أمر بها الراحل عبد الناصر ، وأطنان الذهب التى وزعت على القبائل ، والمشتريات التى عادت بها الطائرات لحساب أصفياء المشير عبد الحكيم عامر الذين حاربوا من مكائهم ومنحوا القلائد تزين صدورهم كأنهم من أبطال طروادة أو أبطال مقدونيا في عهد الإسكندر ذى القرنين !

أردت أن أعلم شيئاً عن هذه الأحداث فلم أجد وثيقة تحكى شيئاً ، فكل الوثائق التى تتحدث عن ذلك إما ضائعة ، وإما في بطون أصحابها ، وإما في مكان لا يُراد أن تنبش فيه إلا بعد خمسين عاماً ، فقد يسىء النبش إلى ميت أو حى !

إن النظام الذى عشناه ثمانية عشر عاماً قد تغير وتبدل بل في يقين أنه بدأ يفقد شرعيته بعد ثورة مايو ، ثم محت هذه الشرعية محواً حرب أكتوبر التى فصلت بين الشدة والرخاء ، وبين التردد والمضاء ، وبين العار والانتصار .

ويدهشنى أن أصحاب ثورة مايو ١٩٧١ لا يحبون أن يكشف الماضى حتى لا ينسف هذا الماضى نفساً ، ويُعزى مما ادعوا له من فضل ، ويطلب البعض منا أن ننسى المأسى ما دام القائمون اليوم بأمرنا يُطبّون لنا ويعالجون جروحنا ويبدلون أقصى الجهد لتصفو حياتنا وتخلو من الهم نفوسنا .

وإذن فكتابة تاريخ هذه الحقبة من حياة مصر كما ينبغي أن يكتب التاريخ، أمر فوق مقدور أى مؤرخ، لأن حقائق هذا التاريخ محبوسة والكشف عنها غير ميسور، وليس لمن يريد أن يكتب شيئاً يشبه التاريخ إلا أن يسمع من هذا أو ذاك، أو يلتقط وثيقة من هنا أو هناك. ويأخذ ما سمع والتقط، فيدرسه ويحلله ويخرجه مستعيناً بما شاهد بنفسه، ثم يسجل ما انتهى إليه فى مثل هذا الكتاب أسوة بما سجلناه فى كتاب « رسائل من نفاستان » أو كتاب « الوسواس الخناس » فهى وإن لم تكن كتاباً تاريخية خالصة، إلا أنها على أية حال لا تخلو من الحقائق المؤكدة، وهى، وغيرها من الكتب التى نشرت، المشكاة التى سيسننر بها المؤرخون لهذه الفترة المظلمة من تاريخنا حين تتاح لهم الحقائق عارية.

نعم ستتاح للمؤرخين الحقائق عارية من الدجل والتهويز والتبريج، سواء طال الزمن أو قصر...

فليقرأ الناس ما استطعت أن أجمعه لهم من الحقائق، وأكشف لهم من المهازل والمبازل التى سمعنا بها جميعاً ولم تسجل فى كتاب أو تنشر فى صحيفة وإن كانت تلح فى روايتها الألسنة فى النوادى والبيوت والمقاهى وعلى قارعة الطريق، ونشرتها الصحف فى الخارج مفصلة بالمقال والخبر والصور والرسوم.

ونحن فيما نكتب لا ندمر بل نبصر، ولا نهدم بل نعمار، ونكشف للجيل الجديد أكاذيب السنوات التى عاشوها فى غيبوبة، ونظف أبحاثهم

من العفن الذى حشوها به وترسب فيها ، فإنه لا يزال بين الشباب من يظن أنه ولد ونشأ وترعرع فى عهد نبى ، كما زعم لم الشاعر نزار قباني الذى أبّن الرئيس عبد الناصر عقب وفاته فوصفه فى قصيدة بأنه « آخر الأنبياء » (١) ونشرت له الأهرام هذا الكفر متحدية عواطف المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، وبهذا قرر الشاعر أن محمداً عليه الصلاة والسلام لم يكن خاتم الأنبياء ، بل خاتم الأنبياء عنده الرئيس الراحل الذى قال عنه صاحبه وصفه الأستاذ محمد حسنين هيكل فى كتابه الذى صدر باللغة الإنجليزية لحساب إحدى الصحف البريطانية ، إنه لم يكن يؤمن — أى عبد الناصر — ببعث ولا آخرة ! ...

ومن عجب أن الشاعر نزار قباني نفسه أصدر كتاباً بأسلوبه الشعرى المعروف عقب هزيمة يونيو سماه « هوامش على دفتر النكسة » كال فيه الصفعات لسياسة عبد الناصر ، وأثم نظام حكمه ، وصور البلاء الذى عاش فيه المصريون. ، وقرر أن ما نسب إلى الزعيم من قداسة ولماحة ، وفطنة وشجاعة إن هى إلا أكبر أكذوبة مرت بالتاريخ ! ...

وبعد صدور هذا الكتاب العنيف بثلاث سنوات ، ولأسباب غير معروفة ولعلها معروفة ! وغير مفهومة ولعلها مفهومة ! نشر قصيدته المذكورة وقرر فيها أن عبد الناصر خاتم الأنبياء ؟ ! ...

إن قصيدة الشاعر نزار قباني فى الأهرام التى أبّن فيها الراحل

(١) الأهرام فى ١٠/١٠/١٩٧٠ .

عبد الناصر وكتابه عتب المزيمه ، وكتب التلاميذ المزورة عن تاريخ الثورة وقصر الجميل فيها على عبد الناصر وحده . وكتب المرتزقة سراء في مصر أو لبنان أو غيرهما من البلدان إن هي إلا نماذج للوثائق التاريخية فيما بين سنتي ١٩٥٢ . ١٩٧٠ وهي وثائق ليست فوق مستوى الشبهات ، بل لعلها أكذب ما عرف في التاريخ من وثائق ومستندات .

لذلك أقطع بأن أحداً لن يستطيع أن يكتب تاريخ هذه الفترة التي سيطر فيها عبد الناصر حتى تكشف الوثائق المخبأة في الخزائن وتفتح الملفات بلا رقيب ، وعندئذ يستطيع المؤرخ أن يزعم صادقاً أنه كتب تاريخ الثورة على وجه صحيح .

أما الحقائق التي يتحدث عنها هذا الكتاب فلا تحتاج إلى وثائق لأنها حقائق عاشها المصريون ، وبعضها حقائق مطوية كسفننا عنها بالبرهان والدليل ، وسوف يشيب القارئ ونحن نروى له الهول الذي مر بوطننا والجرائم التي ارتكبت في حق المواطنين .

إبراهيم عبده

أول سبتمبر ١٩٧٥

أهـى ثـورة بـلانسـب ؟

إن انقلاب محمد نجيب الذى تم فى فجر ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ والذى كره صاحبه أن يسمى انقلاباً وأصر على أنه حركة مباركة تستهدف « الاتحاد والنظام والعمل » اتفق الناس على أن يسموه « ثورة ٢٣ يوليو ».

وفى بيان محمد نجيب الذى أذاعه البكباشى أنور السادات فى صباح ذلك اليوم ، لم يشر قط إلى أن ثورة قامت . بل أعلن أن الجيش ، وهو جيش مصر الذى « يعمل لصالح الوطن فى ظل الدستور » يريد العودة بالبلاد إلى وضعها الدستورى . وطرد السوق المحيطين بالملك . وغير ذلك من مطالب كان الشعب المصرى يريد لها فعلاً ولا يملك تنفيذ هذه الإرادة ، فجات جماعة سموها « الضباط الأحرار » على رأسها لواء معروف لتحقق للشعب ما أراد .

ولا شك أن هذه الجماعة كانت قلة فى صفوف الجيش ، فقد كان الجيش يد المملكية وسوطها ، يهدد به حركات التحرير التى قادها وتحمل متاعبها المدنيون منذ عهد الزعيم الخالد سعد زغلول ، ومن بعده خليفة العظم مصطفى النحاس .

وكانت جماعة الضباط الأحرار تعمل منذ سنوات لهذا اليوم المشهود ، ومرجعنا فى هذا كتاب ممتع صدر فى بيروت لأحمد حمروش أحد الضباط الأحرار تحت اسم « قصة ثورة يوليو » .

وبالرغم من أن الكتاب فى فصوله الأولى محاولة تاريخية طيبة لسيرة

مصر في العصر الحديث قبل الثورة بنحو مائة عام ، فإنها محاولة شابتها بعض الأخطاء التاريخية فضلاً عن الأخطاء المطبعية واللغوية ، بيد أن ذلك لا ينفي أن قراءة الفصول الخاصة بقيام انقلاب محمد نجيب أو ثورة ٢٣ يوليو متعة لمن يريد أن يسجل أحداث هذه الثورة في أمانة وصدق يغبط عليهما المؤلف الذى استطاع أن يكون في كثير مما روى محايداً في استخلاص الحقائق وسرد الوقائع والحكم على الناس والأشياء حكماً بعيداً عن الهوى ، بالرغم من ميوله الماركسية وتحمسه الشديد لسيرة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر .

وقد حيرتنا ثورة ٢٣ يوليو ، وعذبتنا الصحف والكتب والروايات في التعرف على صاحبها والمسئول عنها ...

فلم أكن أعرف مثلاً أن زميلنا الأديب الصحفى النابه الأستاذ محمد حسنين هيكل واحد ممن فجروا هذه الثورة ، فقد كان علمى يقف عند مقامه المقدور لدى الرئيس جمال عبد الناصر بعد قيام الثورة ، حتى زعم البعض أنه كان شريكاً له في المسؤولية بالارتباط العجيب الذى كان بينهما ، وبالوصلات الوثيقة التى ربطت بين مزاجيهما في معالجة الأحداث والناس . وتناول الأمور على نحو فريد لم تعرفه مصر لا في أيام الملك ولا في سنوات الاحتلال ، بل لم تعرفه حتى في أيام الفراعين .

كنت جاهلاً بمقام هيكل في تفجير ثورة ٢٣ يوليو حتى قرأت كتاب فؤاد مطر « بصراحة عن عبد الناصر - حوار مع محمد حسنين هيكل » وفى الصفحات الأولى من حوار الكاتب مع هيكل خرجت بهذه الحقيقة

الى فاتنى ، وفاتت على ما أعتقد كل من تعرض لقيام ثورتنا ، فإذا زميلنا هيكل ، قبيل الثورة بسنوات وشهور . وليلة قيامها ، وبعدها بأسابيع مشارك في ترتيباتها وتطوراتها ، يفتى بالرأى ، ويوجه عبد الناصر ويبصره حتى نجحت الثورة وحقت ما رتب له وأفتى به !

وبالطبع لم يذكر هيكل شيئاً كثيراً عن أدوار زملائه « الضباط » الذين قاموا بهذه الثورة ، وقصر معظم إجاباته على البكباشى جمال عبد الناصر الذى تحدث طويلاً عن صلاته الوثيقة به منذ حرب فلسطين ، ولم يتحدث عن محمد نجيب إلا ليقال من شأن دوره في قضية هذه الثورة ، وعنده أن اختيار الرجل ليتصدر الحركة لم يتم إلا لأنه كبير السن ! أما الأبطال الحقيقيون الذين تحملوا المسؤولية وأدوا المهمة وأنجزوا المعجزة كالبكباشى يوسف صديق الذى اعتقل كل الضباط العظام في مجلس قيادة الجيش ، والقائمقام أحمد شوقي الذى احتل المراكز الحساسة في القاهرة ، مثل هذين البطلين لم يكن لهما نصيب في تلك الليلة العظيمة التى فجر فيها هيكل وزملاؤه ثورة ٢٣ يوليو .

وهذا السر الذى أذاعه هيكل عن نصيبه الموفور في تفجير ثورة يوليو قد شغلنى وأنا أحاول دراسة الوثائق القليلة المتصلة بهذا الموضوع ، بل حيرنى أن يكون المصدر الوحيد لدور الأستاذ هيكل في التحضير والتفجير للثورة هو الأستاذ حسنين هيكل وحده ، وأن شهوده على كل ما جاء في هذا الموضوع قد ماتوا أو انتحروا !

أما الشهود الأحياء الذين ذكر أسماءهم الأستاذ هيكل وهو يتحدث عن نشاطه في تلك الليالى ، فإن أحداً منهم لم يوثق دعواه ، بل إن الرئيس (٢ م - تاريخ)

الأسبق محمد نجيب له رأى فى هيكل نفسه ذكره فى كتابه « كلمتى للتاريخ » وفى أحاديثه مع مجلة الحوادث وغيرها ، ينفى أن يكون لهيكل أى نصيب فيما رواه عن نفسه فى كتاب مطر المذكور ، بل لعل رأى ذلك الرئيس يضع هيكلًا موضع الاتهام فى كثير من الأمور ، وينفى نفياً باتاً صاة هيكل بالثورة ورجالها وفى مقدمتهم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.

ثم يحىء الضباط أحمد حمروش ، وهو خير من أرخ لأيام الثورة ورجالها فيقول « ولم تتسع حلقة الاتصال بين المسئولين الأمريكيين وبين الضباط الأحرار رغم اعتمادهم - أى الأمريكيين - على الصحفي المقرب منهم محمد حسين هيكل رئيس تحرير آخر ساعة فى ذلك الوقت ورئيس تحرير الأهرام فيما بعد ، لأنه لم يكن قد تعرف بجمال عبد الناصر أو غيره من قادة تشكيل الضباط الأحرار حتى ذلك الوقت أو اكتسب ثقتهم » (١).

يمضى أحمد حمروش فيذكر فى كتابه أن مصطفى أمين أرسل هيكلًا مع رفيق له إلى محمد نجيب بعد عودته من مقابلة لمحمد هاشم وزير الدولة فى وزارة صهره حسين سرى ليتعرفا منه - أى من نجيب - رأى الضباط الأحرار فيما وجهه إليهم الوزير هاشم من اتهامات خاصة بتحريضهم ضباط الجيش للثورة على النظام فيقول « فلم تكذب تمضى لحظات - على لقاء محمد نجيب لهيكل وزميله - حتى وصل جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر والتزما الصمت حتى لا يدور الحديث مع نجيب أمام الآخرين ... وهنا طلب هيكل تعريفه بالضباطين ، وكان هذا هو اللقاء الأول بين جمال عبد الناصر ومحمد حسين هيكل » (٢).

(١) قصة ثورة ٢٣ يوليو لأحمد حمروش ص ١٨٠ .

(٢) قصة ثورة ٢٣ يوليو لأحمد حمروش ص ١٩٢ .

وإذا سعت بيانات محمد نجيب عن هيكل في كتابه « حكايتي مع التاريخ » وبيانات أحمد حمروش في كتابه « قصة ثورة ٢٣ يوليو » فإن كل ما ذكره زميلنا هيكل في حوارهِ مع الأستاذ فؤاد مطر عن صلته بالثورة وجمال عبد الناصر ، يكون قصة ممتعة أنتجها وأخرجها خياله واسع لأديب رائع الفكر والأسلوب !

نحية طيبة مباركة لاثنتين من المدنيين ، شاركا فعلاً في الإعداد لهذه الثورة ، وأبت وطنيتهما أن سجلا تفاصيل هذه المشاركة في مقال أو كتاب .

لقد مهدا لهذه الثورة بمقالات في الصحف ، وبطبع بعض منشورات الضباط الأحرار ، وبالاجتماعات يعقدونها مع هؤلاء الضباط ، في بيتهما أو في صحيفتهما ، وشاركا بالرأى والدرس فيما يحسن أن يعمل لإنقاذ البلاد مما كانت فيه من بلاء ، وأخذت العيون ترصد هم من رجال المباحث والمخابرات ، وعرضاً بذلك رأسيهما للبت ، أو قضاء معظم أيامهما على أحسن الظروف في السجون والمعتقلات .

نحية طيبة مباركة لإحسان عبد القدوس لجهادهِ الطويل بما كتب وبما قدم من رأى ...

نحية طيبة مباركة لأحمد أبو الفتح ، فإن دوره لم يقتصر على اللقاءات والدراسات وطبع بعض المنشورات ، بل لعله شارك فعلاً في قيام هذه الثورة حين اتصل من الأسكندرية بصهره ثروت عكاشة ظهر ٢٢ يوليو ، ألقى إليه بأخطر نبأ عجل بقيام الثورة بعد ساعات ، فقد أنبأه بشفرة

خاصة أن الملك أعد كميناً للقبض على جميع الضباط الأحرار عندما ينتصف الليل ، وكان عند ثروت زميل من الضباط الأحرار يتناول الغداء ، فطوى كلاهما صحاف الطعام ، ومضى كلاهما إلى الصبح والزملاء ، فسبق الصبح والزملاء الملك وتحقق الرجاء .

ولم يقف تاريخ الصلات بين أحمد أبو الفتح وبين الثوار على الشهور التي سبقت الثورة ، بل استمرت الصلات وثيقة قوية بعد قيامها ، وكم من أمور طيبة تم الاتفاق عليها لصالح الشعب في الغداء الأسبوعي الذي كان يتناوله أعضاء مجلس الثورة عند أبو الفتح ، وكم من بلاء وقفه — إلى حين — أحمد أبو الفتح وهو يقنع أصحابه الضباط الأحرار في هذا اللقاء الأسبوعي بالثريث والتخفيف من غلوائهم وشطحاتهم ...

لقد فاز هيكل بالحسينيين عندما انفرد بالحكم عبد الناصر ، ونال إحسان وأبو الفتح جزاء ستمتار ، فاعتقل الأول شهوراً وطرد من صحيفتيه روزاليوسف وصباح الخير ، وحرم الكتابة في أى مكان ، وهرب الثانى إلى أوروبا بعد أن تهيأوا لاعتقاله ، وصودرت أملاك وأموال وشركات أخويه ، وأغلقت جريدة المصرى الصحفية الثورية التي فتحت صدرها للثورة حين قامت وفي مطابعها طبعت بعض منشورات الضباط الأحرار ، وطورد الرجل فى الخارج وأسقطت عنه جنسيته ، ورصد لمن يأتى به فى صندوق حياً أو ميتاً مبلغ ضخيم من مال اتحاد قوى الشعب العاملة !

ثم جاء القديس الذى يسمونه محمد أنور السادات ورد للأول مقامه المقدور ، ولا يزال يطب للثانى لعله أن يزيل من قلبه الأسى ، ولعله أن يعيد إليه قلمه طليقاً بعد سجن دام من السنين إحدى وعشرين سنة ...

ومع ذلك كله وبعد ذلك كله ، فلإننا لا نزال حيث بدأنا لا ندرى
لمن تنسب ثورتنا المحيدة ؟

لقد ذكر أحمد حمروش نصيب جميع الذين قاموا بهذه الثورة ،
مهما يصغر دورهم أو مهما يؤول شأنهم ، بيد أنه كناصرى متحمس
قد أكد في أكثر من صفحة أن مدبر الثورة ورئيس الجماعة هو جمال
عبد الناصر ، وهو كمؤرخ منصف فصل في أكثر من موقع دور محمد نجيب
قبل قيام الثورة بشهور ، وليلة قيامها ، وأبرز نصائحه وإرشاداته ، وتحدث
عن تاريخه فذكر أنه الضابط الوحيد الذى استقال في ٤ فبراير ١٩٤٢
حينما هاجمت الدبابات البريطانية قصر عابدين ، وأنه الضابط الشجاع
الذى حارب بشراسة في فلسطين ، وتعرض للموت لإثر جرح عميق أصيب
به في مواقع القتال ، وأنه الضابط العظيم الذى تحدى الملك وناصبه العدا
حتى أخرجه من مصر ، ثم قرر المؤلف في كتابه أن الضباط الأحرار
كانوا متمسكين بقيادة هذا اللواء الشهم الشجاع ، واعتبروا أن وجوده
على رأس حركتهم هو الدعامة الوحيدة لنجاح أى ثورة لهم أو انقلاب ،
فهو الرجل الذى سيمثل البلاد في « مواجهة الملك والاستعمار وكل أخطار
المرحلة » (١) .

ولم يكن محمد نجيب واجهة للثورة غير معروف فجىء به من عرض
الطريق ليتولى القيادة احتراماً لسنه كما يقول هيكل ، بل إنه مجاهد عظيم
منذ شبابه ، إذ أعلن مع أكثر من ضابط تأييده المطلق لسعد زغول
في وثورة ١٩١٩ فاعتقلته القوات البريطانية ، وفي ذلك يقول أحمد لطفى

وأكد وهو من الضباط الناصريين « إن ضابطاً اعتقلته السلطة سنة ١٩١٩ وهو ملازم هو الذى قدمته حركة الضباط الأحرار رمزاً لها صباح ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ وهو اللواء محمد نجيب » (١) .

بل إن جمال عبد الناصر نفسه بصم بأصابعه العشرة على أن اللواء محمد نجيب كان مفرق طريق فى تاريخ مصر ، فيقول فى خطاب وسط آلاف المصريين من سكان بنى مر - القرية التى ولد فيها عبد الناصر سنة اعتقل نجيب لتأييده ثورة ١٩١٩ - يقول عبد الناصر « باسم أبناء هذا الإقليم أرحب بك من كل قلبى ، وأعلن باسم جميع الفلاحين أننا آمنا بك ، فقد حررتنا من الخوف والفرع ، وآمنا بك مصلحاً لمصر » .

وبالرغم من أن محمد نجيب حرر عبد الناصر « من الخوف والفرع » حتى أعلن إيمانه به « مصلحاً لمصر » فانه نحاه عن السلطة واعتقله أكثر من خمسة عشر عاماً ، وحرمه مخصصاته كرئيس سابق للجمهورية !

ومع كل ما ذكره حمروش عن محمد نجيب كقائد لليلة العظيمة ، وكرئيس للجمهورية ، وما قاله غيره من المعاصرين ، من أدباء ومؤرخين عن موقفه البطولى فى ثورة ٢٣ يوليو فان حرفاً عن الرجل لم يسجل فى كتب التلاميذ ، بل حرم على الصحف المصرية أن تذكر اسمه بأى مناسبة منذ سنة ١٩٥٤ إلى سنة ١٩٧١ .

ثم ذكر أحمد حمروش بالتفصيل الدور العظيم الذى قام به البكباشى يوسف صديق ، وكانت أفكاره يسارية إلا أنه كان من أشد الضباط حماسة

(١) من كتاب « دراسات سياسية - ٢٣ يوليو خمسة أبعاد » ص ٨٩ .

لحرية الرأى واحترام الدستور ، وكان الرجل مريضاً كما قيل بالسرطان ، وعندما استعد لأداء ما كلف به من واجبات فى تلك الحركة ، فوجئ بالدم ينزف من صدره « فتناول حقنة فى الرابعة مساء لمنع النزيف وهو فى معنوية عالية يهين نفسه لواجب الليلة » (١) .

ولا أستطيع أن أنقل من كتاب حمروش تفاصيل ما فعل صدّيق فى تلك الليلة ، فان ذلك يحتاج إلى كتاب لا إلى صفحات معدودات .

إنه كان قمة فى الشجاعة وإنكار الذات ، وكان فى مطلع المسيرة أول من وضع المسار فى نعش نظام عاشت مصر فى ظله قرناً ونصف قرن من الزمان ، فافتحم القيادة العامة واعتقل ضباطها العظام ، والتقط من الطريق كل الضباط الكبار الذين خرجوا ليقضوا على الثورة ، وحبسهم أو ضمهم إلى جانبه ، ثم جلس فى انتظار محمد نجيب قائد الحركة الذى كانت «الخطوة» أن يجيء ويقف على رأس ضباطه وجنوده حين ييسره ذلك ، البكباشى الشهم الشجاع المريض بالسرطان ...

وبعد شهرين فصل البطل يوسف صدّيق من مجلس الثورة ، وألزم بيته ثم اعتقل ، وحرّم على الصحف والكتب أن تكتب اسمه حتى يموت .
موتاً أدبيّاً كما كان يفعل الأباطرة مع خصومهم من أحرار الرومان .
ثم مضى الرجل العظيم إلى ربه منذ شهر دون أن يقام له تمثال ، أو يعد له مثوى فاخر معروف ، أو ترصد لأسرته مخصصات ما كان ينبغى أن ترصد إلا لأمثاله الأبطال الصناديد ...

لمن تنسب ثورة الأحرار ؟

وظفت آلاف الأطنان من ورق الصحف والكتب في مصر وبيروت والعالم أجمع لتسجيل تاريخ قائد الثورة ومفجرها وصانعها وخالق رجالها وأساطينها جمال عبد الناصر ، حتى لم يعد جيل بأسره يعرف غيره من رجال الثورة ، فقد قالت لنا الصحف والكتب بكل لغة ولسان إنه وحده صاحب ثورة ٢٣ يوليو التي خلقت شعباً لم يكن له وجود ، وإن كان هذا الشعب الخالد موجوداً قبل أن يكون للتاريخ وجود ؟ !

ولا أريد أن أعتمد في تسجيل نسب الثورة على ما كتب هيكمل أو محمد نجيب أو غيرهما من الأنصار والخصوم .

وكهوّرخ غير متأثر بما سجلته أطنان الورق الذي طبعت عليه سيرة عبد الناصر في كتب وصحف ، أؤكد أن للرجل نصيباً ضخماً في التحضير للثورة والدعوة لها في صفوف الجيش ، وعند أحزاب القلة من المدنيين ، وكان هذا النصيب واضحاً جداً قبل قيام الثورة بعدة سنوات . أما ليلة الثورة فنصيب الزعيم هنا نصيب يثير الحيرة ويدعو للتساؤل ، وهو تساؤل شديد الوطأة على صاحب هذا التاريخ العريض ...

لقد كان يوسف صديق وأحمد شوقي وكمال الدين حسين وخالد محي الدين وثروت عكاشة وعشرات غيرهم في مواقعهم ليلة الثورة ، يؤدون واجبهم أحسن الأداء في فدائية وشجاعة . وكان رئيسهم محمد نجيب في بيته « حسب المخطط الموضوع » كما يقول حمروش . يلبس بزته العسكرية ويتعجل اللحظات ليمضي إلى مركز قيادته ، ويعلن « حركته المباركة » على شعبه المتعطش إلى الحرية ، والذي ضاق بالملك، وسياسته وسيرته وبطانته ...

ماين كان رائد الثورة وزعيم الأحرار ؟

يقول الضابط محمد رياض في مقال نشرته له مجلة الحوادث البيروتية ،
إن البكباشي جمال عبد الناصر كان ليلة الثورة في صحبة « مشيره » وصديقه
ورفيق جهاده الصاغ عبد الحكيم عامر في لباسهما المدني يجلسان في سيارة
الأول ، بعيدين تماماً عن المعركة التي قادها وكسبها البكباشي يوسف صديق ،
وقدر المسافة بين السيارة المدنية وراكبها الضابطين المدنيين وبين مسرح
« العمليات » بنحو كيلوين من الأمتار ...

ثم يمضى محمد رياض في مقاله فيقول إن عبد الناصر وعامر حين علما
بأن صديقاً قد أنهى المهمة وقبض على قادة جيش الملك وصفى جيوب
المقاومة بعسكره القليل وشجاعته النادرة ، أقبلا بملابسهما المدنية حيث
سيطر الرجل على مبنى رئاسة الجيش ، فقبض عليهما جنده ، فقد ظن
الجند أن زعيم الضباط الأحرار وزميله من رجال مباحث الملك أو
مخابراته ، وقادوهما إلى يوسف صديق ، فأمر باخلاء سبيلهما ، وأتاح
لهما فسحة من الوقت ليرتديا فيها بزة الجند وسلاحها ، وينضما إلى سائر
الزملاء من الضباط الأحرار ، وأخذت لهما الصور مع الجماعة ونشرت
تلك الصور على الناس ، ومن عجب أن يوسف صديق لم تظهر له صورة
بين الثوار ؟ ! ...

هكذا حكى لنا الضابط محمد رياض ، وحين قرأت ما كتب ،
وسمعت ما حكى . راودني الشك فيما كتب وقال ، لأن رياضاً كان
وما يزال من أقرب الناس ، إن لم يكن أقربهم إلى محمد نجيب ...

ورحت إلى الضابط الناصري أحمد حمروش الذي تغلب في كتابه على

كثير من هواه : فاذا هو أيضاً يؤكّد قصة السيارة المدنية التي كانت تقف على بعد بعيد وفي داخلها عبد الناصر وعبد الحكيم عامر يرقبان الأحداث على حد قوله ، وكانا في ملابسهما المدنية نقلاً عن رواية يوسف صديق (١) والرواية الأولى التي رواها محمد رياض ، والرواية الثانية التي رواها أحمد حمروش ، لا تختلف إحداهما عن الأخرى في المضمون ، فلا شك أن الصاحبين (عبد الناصر و عامر) كانا - كما اتفقت الروايتان - يرقبان الأحداث من بعيد ، ولكن أحمد حمروش لم يقل لنا وهو يسجل الأدوار التي قام بها أحرار الضباط في تلك الليلة ، إنه كان من « المخطط » أن يجلس عبد الناصر وعبد الحكيم عامر في سيارة الأول وفي ملابس مدنية ليرقبا الأحداث ! كما قرر في حسم وفي أكثر من موقع أنه كان من « المخطط » أن يبقى الجنرال نجيب في بيته وفي لباسه العسكري حتى تضاء له العلامة الخضراء فينتقل إلى مركز قيادة الثورة ليعان قيامها على الشعب مع نور الصباح .

ولم أقرأ في التاريخ أن قائداً ما أو ثائراً ما جلس في سيارة بعيداً عن مكان المعركة وهو في ثياب مدنية ، إلا أن يكون واحداً، من عامة الشعب خرج مصادفة فرأى تجمعات عسكرية ، فوقف من بعيد يتفرج على هذه التجمعات ، ويرقب ما تعمل من باب حب الاستطلاع ، وحب الاستطلاع من نزعات الإنسان ، يتفق فيها المصريون وغير المصريين من الناس .

ولعلها المرة الأولى في التاريخ التي يجلس فيها ضابطان بملابس مدنية في سيارة مدنية ويشاهدان من بعيد ثورة تقوم ويشاركان « بالنظر والمشاهدة » في

(١) قصة ثورة ٢٣ يوليو ص ١٩٩ .

هذه السورة فيجزيان على ذلك خير الجزاء، إذ يصبح الأول بعد سنة نائباً لرئيس الوزراء ثم رئيساً للوزارة والثاني قائداً عاماً للجيش قافراً في رتبة العسكرية أربع درجات ، ثم تمضى سنتان أخريان فيصبح الأول رئيساً للجمهورية وينال الثاني رتبة « المشير » وهي أعلى رتبة تمنح لقائد تدرس على الحرب وخاض المواقع واكتسح الأعداء ، ولم تمنح قط لصاغ في أى جيش كل رصيده في الجهاد أنه رأى من بعيد ثورة تقوم ، ويقوم بها أحرار حملوا رءوسهم على أكفهم ، وغامروا وخيال المشائق يداعبهم في كل خطوة من خطاهم (١) .

وأعلم من التاريخ أن جميع المتأمرين على جميع الأنظمة التي تأمروا عليها ونجحوا فيها ، شاركوا مشاركة الأصيل في تأمرهم .

وأينا ذلك في بروتس وهو يشارك في القضاء على قيصر صديقه وصفيه ! ورأينا ذلك في مجموعة من ممثلي الشعب الفرنسي وهم يحاولون قتل وبسبير ليتقصوا على عهد الإرهاب وحكم المقصلة

ورأينا الجنرال بوناپرت في انقلاب « بريمير » حين أراد أن يغير حكومة الإدارة يذهب بنفسه على رأس جنده ويدخل إلى مجلس الشعب

(١) عند ترقية عامر من رتبة الصاغ إلى رتبة اللواء استقال احتجاجاً على ذلك قائد الطيران الأميرالاي حسن محمود . أما عن مقام المشير عامر كمسكري ، فقد بينه لنا هيكل في كتاب « عبد الناصر بصراحة » فقال « إن عبد الحكيم عامر كان نصف فنان ونصف بوهيمي ولطيفاً جداً ولكن عسكرياً توقف عند رتبة الصاغ ، أي أنه يستطيع أن يقرر دكتية لكنه لا يستطيع أن يقود جيشاً . لقد أصبح عبد الحكيم عامر ضابطاً سياسياً . والضابط السياسي لا يمكن أن يكون مسؤولاً عن قيادة جيش .

يقبض على نوابه ويتقضى بذلك على النظام القائم ، ويعلن نفسه قنصلاً مع قنصلين آخرين . ثم قنصلاً أول ثم إمبراطوراً ...

ورأينا ذلك حين سار موسولينى على رأس رجاله فى قمصانهم السود مئات الأميال حتى دخل روما وفرض حكمه على ملك إيطاليا ربع قرن من الزمان ، ولم يبق الرجل فى ميلانو ثم أدرك رجاله بعد نجاحهم ليقدموا له السلطة على طبق من فضة أو فى وعاء من ذهب ؟! ...

إن القيادة فى النفصات والحروب والثورات حاضرة دائماً مع رجالها ، تقاسمهم عناء الجهاد والقتال ، وتحمل معهم الخواتيم سيئة أو سعيدة ولا تقف من بعيد فى ثياب مدنية حتى تنفى عن نفسها تهمة التآمر عند اللزوم ؟! ...

ولم نضرب الأمثال بالرومان والفرنسيين واليطاليان ؟

لقد كانت حياة محمد عليه الصلاة والسلام أغلى ما عند المسلمين ، وما كان أحراه أن يبتعد قليلاً عن ميدان المعركة ، فان فقدانه كارثة ، لأنه نبي ، وليس ضابطاً إن راح أخذ مكانه آلاف من الضباط ، ولكنه صاحب رسالة هى أعظم الرسالات ، ولن ينصره الله إن تخاذل فى الجهاد من أجلها أو تقاعس عن رد أعدائها .

وكان النبي العظيم مع المؤمنين برسالته فى كل مواقع الحرب التى دارت بين المسلمين والكفار ...

وبعد فانى حائر مع الحائرين ... لمن تنسب ثورتنا ؟

أنصدق هيكلاً وآلاف الأطنان من ورق الصحف والكتب ؟ أو
نصدق محمد نجيب وأحمد حمروش والقليل من الكتب والمقالات التي
حاولت الصحيح ؟ أو نشكك فيهم جميعاً بعد أن حبست الحقائق وأخفيت
الوثائق وترك الأمر للاجتهاد مرة وللتزوير مرات ؟

ولإنه لأمر عجيب أن تكون الثورات الكبرى في التاريخ معروفة
الأصل ، واضحة المعالم ، ظاهر فيها كل من ساهم في أمرها ، إلا ثورتنا
هذه التي اختلف في أمرها الأفراد وتصارعت من أجل قيادتها الجماعات ...

الثورة الفرنسية من يومها الأول في سنة ١٧٨٩ معروفة تفاصيلها ، لم
يشكك في أمر هذه التفاصيل المؤرخون الذين عايشوها أو المؤرخون
الذين جاءوا من بعدهم ...

والثورة البلشفية التي فجرها الماركسيون في سنة ١٩١٧ هي الأخرى
معروفة جذورها ، واضحة حقائقها ، لم يطمس المزورون أمر من قاموا بها ،
مع أن الناس تشيعوا لهذا الفريق أو ذاك ، وتناحر مفجروها فيما بينهم ،
وحارب بعضهم بعضاً ، بل لاحق الفريق المنتصر الفريق المهزم خارج
البلاد ، وتمت عمليات اغتيال بعيداً عن روسيا ، ونزفت دماء كثيرة
سواء في موسكو أو سيبيريا .

ر مع أننا قمنا بانقلاب فقط ، ربما تطور إلى ثورة بعد سنوات بما
أحدث من تغيرات سياسية واقتصادية وأخلاقية أيضاً ! فإننا حاثرون
فيمن كان له النصيب الأكبر في هذا الانقلاب ويستحق ولاء الحق
والتاريخ !

ولكن مهلاً ، فإن الزمن كفيل بأن يعرّي من لافضل له ، ويرد لصاحب

— ٣٠ —

اليَدِ حقّه الذي حرّموه إياه بالتزييف والبهتان . وإن من طبع المصريين أن
يسترّدوا وعيهم الذي فقدوه ! ولهم في تاريخهم القديم أسوة ، فقد عبدوا
العجل مئات السنين ، ثم تبينوا أنه حيوان لا يدرك فذبحوه ، ومنذ ذلك
التاريخ وهم يذبحون العجول ؟ ...

الثورة تاكل بنيتها

هذه حكمة قيل إنها فرنسية ...

وقيل إنها سارت مثلاً منذ قالها صاحبها الحكيم الفرنسي . حين رأى
المقصلة تفصل رقاب أعلام الثورة الفرنسية واحداً بعد الآخر ، ولم تتوقف
عن نشاطها في عملها إلا بعد سنوات قضى فيها على أبناء الثورة الأوائل حتى
لم يبق منهم أحد .

وهذه الحكمة التي فرضت وجودها على كل ثورة عرفت في العالم
منذ ذلك التاريخ ، لم يكن لها إلا استثناء واحد ، حدث مرة واحدة : وكان
هذا الاستثناء في مصر ، وفي ثورة ٢٣ يوليو بالذات ؟ فان واحداً من
أبناء هذه الثورة أكل الثورة ! وأكل بنيتها ! وأكل أيضاً كل ما سبق ثورة
يوليو من ثورات ! وكانت له معدة قوية هضمت كل هذا في أربع سنوات
حتى لم يبق إلا هو وحده لا شريك له : يوثى الخير من يشاء ، ويحبسه
عمن يشاء ...

ونستغفر الله العظيم في عبارتنا هذه فهي وحدها التي تعبر عن واقع
عشناه ؟ ...

وقد حاول الدعاة أن يصوروا عبد الناصر بأنه كان على رأس القلة من
الضباط الأحرار التي تريد لمصر حكماً دستورياً : وأنه كان وسطاً ، لا هو
من أهل اليمين ولا من أهل اليسار ...

وقالوا إنه كان يكره الإمبريالية المتمثلة بالطبع في الإنجليز والأمريكان !

وقالوا .. وكان يبغض الشيوعية لأنها ضد الأديان ...

ثم زعموا أنه كان رحيم القلب فلم يوافق على إعدام الملك ، إلى غير ذلك من حكايات سجلت في صحف وكتب عالمية ، وسدد ثمنها لتطبع وتنتشر على أوسع نطاق من أموال تحالف قوى الشعب العاملة التي كانت في غيبوبة نحو عشرين عاماً ، يرتكبون باسمها كل الآثام ، وكان لتحالف قوى الشعب ذاك مؤسسات دستورية أو سياسية أنشئت بقرارات جمهورية ، وذلك قمة السخرية بالشعب الطيب الذي رأى وسمع ثم سكت في صمت عجيب ، وطال سكوته في صبر غريب ! ...

لم يكن للثوار قبل ثورتهم حكومة ظل ، أو تخطيط لتحول اجتماعي أو غير ذلك من شعارات ودعاوى ، غير دعواهم التي جاءت في بيان محمد نجيب في صباح ٢٣ يوليو ، وهو بيان أثبتت الأيام أنه كلمات إنشائية . لم ينفذ منها إلا طرد الملك .

وكان سقوط الملك في يناير ١٩٥٢ وشيكاً بعد أن مزق طلاب الجامعة صورته وداسوها بالنعال ، وخرجت فتيات المدارس يطلبن هاتفات بعودة الملك إلى أنقرة ؟ ذاكرات أمه بالسوء ؟ واصفات بيته بالدعارة ؟ ...

فحرقوا القاهرة ليبقى ...

وما كان له أن يبقى بعد أن آل عرشه للسقوط ، وثارت عليه جماهير الشعب من طلبة وعمال وفلاحين ، ولو ترك للشعب ولم يستعجل أمره ضباط الانقلاب ، لقضى عليه الشعب وأمهى حكم بيته على وجه اليقين ،

أما بقية بيان محمد نجيب وما جاء فيه عن احترام الدستور والتمكين

للحريات والقضاء على الفساد وغير ذلك من الأمنى والأحلام . فكان لغواً يحىء عادة فى البيان الأول الذى يذاع فى كل ثورة أو انقلاب ! ...

إن ابن الثورة البكر وزعيم تشكييلها كانت فى ذهنه وحده أفكار لا يعلم بها أحد إلا هو ، وأنه بذكائه والمعيتة قد خطط ودبر ورسم لما ينبغى أن يصير بعد نجاح الثورة ، وأنها وإن تمثلت فى ثلاثة عشر ضابطاً على رأسهم لواء ، فانهم جميعاً أطباق شهية سوف يلتهمها وحده . وقد يدعو إليها بعض أنصاره من ضباط الصف الثانى أو الثالث ، وقد يدعو إلى فتاتها بعض الانتهازيين من المدنيين الذين ما كان لهم أن يكونوا إلا فى ظل الطغيان والإرهاب ...

كانت الثورة فى فكر محمد نجيب ثورة وطنية رأسمالية ...

وكانت الثورة فى ذهن ضباط مجلس قيادة الثورة متباينة الأهداف ، فانهم من كان يريد لها لصالح الإخوان المسلمين ، ومنهم من كان يود تطويعها للشيوعيين ، ومنهم من كان يرى ردها للشعب ممثلاً فى حزب الوفد الكبير ...

وكانت الثورة فى ضمير جميله عبد الناصر كل هذا الذى دار فى رعوس الجميع ! على أن تتركز آخر الأمر فى شخصه هو ، زاعل أن يصبح شخصه هو ، ضمير هذه الأمة ، وهو ما انتهت إليه الثورة فعلاً بعد أربع سنوات ...

وقف فى حماسة مطالباً بعزل الملك ...

ووقف إلى جانب الذين رفضوا إعدام الملك ...

سانداً أشد المساندة للرأى القائل بأن تبتعد الثورة عن فكرة اليسار -
لا تغضب أمريكا ، ولذلك أيد جمال سالم فى رفضه تعيين الدكتـ
عبد الرزاق السنهورى رئيساً للوزراء خلفاً لعلى ماهر ، لأن الرجل وة
يوماً وثيقة دولية تدعو للسلام . والأمريكان يعتبرون دعاة هذا السـ
ماركسيين قذرين لا يجب أن يقرأ عليهم سلام ؟

وهنا لنا وقفة ...

لا يستطيع أحد أن يكابر فى أن « شيئاً ما » كان يربط بين الرئيد
جمال عبد الناصر وبين الأمريكان ، وأن أمريكا — كدولة أجنبية
كانت هى الدولة الوحيدة التى غرقت يداها فى عجين الثورة ، وتحمسـ
فى الأيام الأولى لما جاءت به من أفكار ...

فهى التى منعت الإنجليز من التحرك لنصرة الملك حين قام الانقلاب
وهى التى ساعدت على خروج الملك دون متاعب له أو للشوار .
وهى الدولة الوحيدة التى كان سفيرها يتناول العشاء على موائد صديـ
له من أعضائها الأخيار ...

وهى الدولة التى كان مندوب القيادة الثورية على صبرى على صـ
وثيقة ببعض رجالها . ويقوم بالسفارة بينهم وبين تشكيل الثوار ... وعلى
صبرى هذا شغل منصب السكرتير الخاص للرئيس الراحل ، ثم اختار
بعد ذلك رئيساً للوزراء ...

وكان عبد الناصر وثيق الصلة برجالات السفارة الأمريكية ، وكانو
يزورونه علانية فى مبنى قيادة الثورة مما أغضب محمد نجيب وغيره من
الأنصار ، أو يقابلونه خفية بعيداً عن الأنظار ...

وهى الدولة الوحيدة التى تلقى عبد الناصر من رئيسها أيزنهاور ثلاثة ملايين دولار عداءاً ونقداً ، مساهمة منها فى تخفيف وطأة التزامات الرئيس المصرى ليعالج هذه الملايين مسؤولياته الكئيب ، وإن كانت قد استغلت بعد ذلك ، كما يدعون ، فى إنشاء برج القاهرة الجبار ! ..

وهى آخر الأمر الدولة التى أمرت إسرائيل وفرنسا وإنجلترا بالانسحاب من الأراضى المصرية بعد غزوها فى سنة ١٩٥٦ ولولاها ما انسحبت ، ولتطورت الأمور إلى أسوأ مما كان يتخيله الثوار ...

هذه كانت بعض الخفايا فى تاريخ الراحل وتاريخ علاقته بأمريكا ، وهو مخطط فى سياسته الخارجية كثير من يعرفه ، وكثير من حكوه أو سجلوه فى مقال أو كتاب .

ومضت هذه السياسة متجاوبة مع خطاه فى شئون الداخل حين كان يقفز الدرج لينتزع الراية من حاملها ، وبدأت هذه الخطى تخضع لضغط الظروف ، فاضطر يوم تم الانقلاب إلى دعوة المدنيين لتولى السلطة ، فاختير على ماهر رئيساً لمجلس الوزراء ، واختير سليمان حافظ وكيل مجلس الدولة مفتياً للثورة ، وحنميطته — كعضو فى الحزب الوطنى عديم الانصار — على الوفد ورئيسه كانت مضرب الأمثال .

وقرر سليمان حافظ « مفتى الثورة » تحطيم كل القيم الرفيعة التى جاهدت عصر من أجل تحقيقها سبعين سنة ، فشمر عن ساعديه وأصدر القوانين والتشريعات التى تشن غل مجلس الثورة بكل تياراته المتباينة ، فوقف العمل بالدستور وحل الأحزاب ليرضى هوى المؤيدين للإخوان المسلمين ، وصاغ قانون الإصلاح الزراعى ليسعد الأعضاء اليساريين ، وأصدر

قانون التطهير ليفصل بمقتضاه آلاف المواطنين ويرطب بذلك أحقاد أهل
الثلة من سفلة المدنيين ...

كل هذا الذى فعله « ممتى الترية » أو مفتى الثورة سليمان حافظ وهو
رجل العدالة والقانون .. لم يخفف من حفيظته على أحرار مصر ونخبها .
فاستن قوانين محكمة الثورة ، ومحكمة الغدر ليعدموا أو يسجنوا أو تصادر
أموالهم فى أخف الظروف ، وبذلك يصفى من مصر أعلامها وحماها
وحملة مشاعل الحرية منذ أشعلها مصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول .

ثم دس بين على ماهر — وعلى ماهر له نصيب فى بعض هذا البلاء
للأسف الشديد — وبين مجلس قيادة الثورة ، وأغراهم بالحكم ليلوه ، وله
وراء ذلك خبيء ! فسوف يكون فى ولاية العسكر حكم البلاد ، وهم على
جهل بالإدارة والسياسة والقانون ، سبب وجيه لتثبيته مستشاراً للحكم
العسكرى فى وظيفة نائب رئيس مجلس الوزراء الجديد محمد نجيب ، ثم
يوصفه المستشار ، فسوف يشير بتهيئ وزراء معظمهم من نكرات الحزب
الوطنى ولا يعرفهم أحد باستثناء الدكتور نور الدين طراف الطيب الذى
مارس السياسة منذ كان طالباً فى الجامعة ، وأصبح عضواً فى مجلس
النواب ، وكانت له مواقف وطنية مشرفة ومشرفة ، ولا شك أن قبوله
لمنصب الوزير ، ورضاءه بأن يمضى فى مناصب الوزارة لإبّان حكم الفرد
وفرة الإرهاب أكثر من عشر سنوات قد حجب كثيراً من هذه الأجداد .

ومن عبر التاريخ التى لا يريد أن يعتبر بها كثير من الطغاة ، أن
المستشار سليمان حافظ لم يسلم من المظالم التى أيدىها بما أفقى من قوانين ضد
أحرار مصر ، وبما قدم من تشريعات فى مجلس الوزراء أفسدت سلوك
المواطنين ، وهزت المثل الرفيعة فى نفوسهم ... هذا المستشار أمر باعتقاله .

عبد الناصر ، وعومل في السجن بأشد ما يعامل به القميلة والسفاحون ، فأهين وضرب وعذب ، وبقي في سجنه حتى مرض ، ثم أفرج عنه ومات بعد قليل ...

وكم كان سعيداً الابن الذي أكل الثورة وبنيتها وهو يشاهد هذه التطورات التي رسم لها من وراء ستار ، فان انتقال السلطة إلى العسكريين أول مدارج النجاح لمخططة العريض في الوصول إلى ما ينبغي ويريد .
فهو يبدأ أمريكياً وتؤكد ذلك الوثائق التي نشرت أخيراً في كثير من الكتب والحكايات (١) .

ثم هو من أنصار الإخوان المسلمين حتى إنه أنشأ محكمة الثورة لتحاكم غيمن تحاكم ، خصوصهم وعلى رأسهم إبراهيم عبد الهادي رئيس الحزب السعدي الذي حكمت عليه هذه المحكمة بالإعدام ، ثم استثناهم من قرار حل لأحزاب دون سائر الأحزاب ؟ ...

ثم هو يميني متطرف حين أصر على إعدام العاملين خيس والبقرى في كمر الدوار ، فقد كان ذلك منه فطنة ، إذ تحسس ميول الرأي العام ، فإذا هي كارهة لبوادر الماركسية تبدو واضحة في صفوف العمال ، وليست هناك أسباب أخرى كما سجل هيكل في حوار مع مطر إذ قال عن خلاف الثورة والعمال «إن طرفي قضية واحدة حدث بينهما صدام في الظلام ، ولو حدث حوار بين الطرفين لما كان انتهى إلى غير الصدام» ثم يقول هيكل في الصفحة نفسها ، ولو حدث حوار بين الثورة والعمال «لما كان للصدام أن يحصل» .

(١) كلمتي للتاريخ لمحمد نجيب ، ثم بصراحه عن هيكل لكرم شلي .

وحرنا في أمر هيكل وهو يحلل ويخرّج ويفلسف جريمة إعدام العاملين في كفر الدوار (١) .

ثم هو - أي الرئيس الراحل - يساري واضح الميول حين قام بالإصلاح الزراعي وأصدر القوانين لصالح العمال ، وحين سجن الإخوان المسلمين وأطلق الرصاص عليهم في أكثر من موقع ومكان ...

وهو لا إلى اليمن ولا إلى اليسار ، وآية ذلك أن السجون والمعتقلات قد ضمت سبعين ألفاً في فترة ما ، وكان من بين نزلائها زعماء الإخوان المسلمين وزعماء الشيوعيين على السواء ! ...

وحين وصل العسكريون إلى الحكم بوزارة محمد نجيب ، تسلل إليه عبد الناصر بوصفه زعيم تشكيل الضباط الأحرار وأصبح نائباً لرئيس الوزراء ثم رئيساً للوزراء ...

ثم اختلاف مع محمد نجيب الذي كان يرى رجوع الجيش إلى ثكناته ، وإعادة الحياة الدستورية والسماح للأحزاب بممارسة نشاطها من جديد .

ورأى عبد الناصر أن تحقيق رغبة نجيب تعني أن الثورة قد صفتت ، وأن أحلامه قد تبخرت ، وأن كل ما خطط له ورسم قد ذهب هباء ...

لذلك جمع مجلس الثورة وأقال محمد نجيب ، ولم يعده إلى مناصبه إلا لغرض في نفس يعقوب ، فهو لم يهتز للجواهر الثائرة ، ولا للمظاهرات الهادرة ، بدليل أنه أطلق الرصاص عليها وسالت دماء المواطنين ، غير أنه لقي معارضة في الجيش لإقالة محمد نجيب ، وعرف أن الظروف لا تسعفه.

(١) بصراحة عن عبد الناصر ص ٥٦ وتجد هذا التناقض في الفقرة الأولى من الصفحة وفي الفقرة الأخيرة منها .

في كبت التمرد بالرصاص كما فعل مع المدنيين ، لأن الغاضبين في الجيش معهم أيضاً ذخيرة ضخمة من الرصاص قادرة على حسم الموقف لصالح عدوه الكبير ؟

وبصره ذكاؤه إلى الحل السليم ، فرد إلى محمد نجيب كل سلطانه ووافق على صدور قرارات مارس على النحو الذي كان يريد . وذلك حتى يمالك أنفاسه ويتعرف في مهل على الجيوب التي تسانده في الجيش فيصفئها في هدوء ودون تلاحم أو سفك دماء .

فإذا يعمل الراحل النابه الداهية لتصفية الجيوب والقضاء على الدستور والحريات ؟

دخل كثير من البوليس الحربي في ملابس مدنية . وبذرت مئات الألوف من الجنيات — وقيل ملايين — لشراء ذمم بعض العمال والمرزقة وسارت منهم مظاهرة بترتيب من الضابطين طعيمة والطحاوي تشق شوارع القاهرة وتهتف ...

تسقط الحرية ... ويسقط السهوري الجاهل ؟ ...

أى والله سمعتم بأذنى ورأيتم بعينى يهتفون بسقوط الحرية ، وبسقوط عالم مصر الذى نعتوه بالجهل والغباء ...

وسار فريق من المتظاهرين بقيادة صلاح سالم إلى مبنى مجلس الدولة ليقتلوا رئيسه السهورى الذى زعموا أنه انحاز إلى قرارات مارس ، ثم زعموا كذباً أنه في اجتماع مع الإنجليز ... ضربوه بالعصى وانهاكوا عليه باللكمات حتى وقع أرضاً مغشياً عليه ، ثم نقلوه إلى المستشفى ليعالج من الكدمات والضربات .

وذهب إليه الرئيس الراحل مع بعض من صحبه في المساء ليعوده
ويطمئن عليه ، فرفض السهوى أن يقابل ضاربيه ...
ثم أعلن لإضراب السكك الحديدية وسائر المواصلات ، احتجاجاً على
عودة الحرية إلى مصر ورجوع الجيش إلى الثكنات ؟ ! ...

ولم يكن بد من عودة مجلس الثورة — من غير نجيب — إلى الانعقاد
ليعلن على الملأ أن إرادة المصريين نادت بوأد الحرية وإلغاء الدستور
والأحزاب ، والإبقاء على ضباط الثورة في مراكزهم يسوسون أمور
البلاد ...

وهزم نجيب وانزوى ، وجرد عملياً من كل وظائفه ، ولم يعد اسمه
يذكر في صحف أو إذاعات ...

ثم تقرر عزل نجيب بعد حادث المنشية (١) إذ لم يعد للرجل أنصار في
الجيش ، ولم يكن أنصاره إلا هذا الشعب الأعزل من السلاح ، ولا أمل
خلال تلك الفترة الدوية العصبية في نجاح أى انتفاضة بلا سلاح ...

وهكذا أكل ابن الثورة البكر أكبر الأطباق ! ...

ثم رقى القائد العام ، يده اليمنى ، إلى رتبة المشير ...

ثم أنشأ في الجيش تشكيلاً يدين له بالطاعة والولاء ...

ثم أخذ يسوس الأمور بسلطانه الجديد دون الرجوع إلى رفاقه أعضاء
مجلس الثورة ، وبذلك لم يعد في حاجة إلى سند من هؤلاء الرفاق .

وانتهى قرار هؤلاء الرفاق إلى الانسحاب من الميدان ، وتسليم السلطة

(١) كان هناك اجتماع عام بميدان المنشية بالإسكندرية وأطلق عضو من الإخوان المسلمين
الرماس على عبدالناصر وهو يخطب فأخطأه وانتهر مجلس الثورة هذا الحادث وأطاح بمحمد نجيب .

إلى يد زعيم التشكيل وخاصة بعد أن انتخب رئيساً للجمهورية ، فاجتمعوا وباعوه على حكم مطلق يتصرف فيه على ما يهوى ويشاء ، واعتكف منهم جمال سالم وخرج من معترك الحياة نتيجة مرض عضال ، وفرح معظمهم بمنصب الوزير أو رئاسة المؤسسات أو بالإشراف على الصحف والمحلات .

وانتقال القيادة الجماعية إلى سلطان الفرد أنهت نصيب ضباط الثورة بقى أى مظهر من مظاهر السلطان المؤثر فى مجريات الأمور ، لأنهم أصبحوا وزراء أو رؤساء مؤسسات ، وأصبح إقصاؤهم نهائياً عن ميدان الحياة العامة . أمراً يسيراً على الرئيس جمال عبد الناصر ، فأرنا كيف كان الوزراء يعينون ويعزلون بقرار ، يستوى فى ذلك وزراء كانوا أعضاء فى مجلس الثورة ووزراء لم يكن لهم فى تاريخها نصيب .

وكان هناك أربعة نواب لرئيس الجمهورية ، منهم نائب أول للرئيس هو المشير عبد الحكيم عامر ، وهذا قضت عليه هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ وحملوه عارها وشنارها ، فاستقال مع الرئيس عبد الناصر حين استقال ، بيد أن الرئيس عاد إلى مناصبه جميعاً وبقي المشير فى الطريق العام ، وحين أراد أن يرتب لعودته بالقوة ، قرأنا نعيه فى الصحف ، وقيل لنا إنه انتحى . ولم ينتحى الرجل لهزيمة كقائد كما يفعل الشجعان من القواد ، بل انتحى حين قبض عليه وهو يرتب لانقلاب ...

وأبعد الثانى بعد الهزيمة بشهور ، وله شهرة طائرة فى إطلاق الرصاص على الإخوان المسلمين جماعات وهم عزل وراء القضبان ، وله كذلك سجل حافل فى استيراد أدوات التعذيب من أى مكان ...

وبقى الثالث ساكناً لا ينطق ، بالرغم من إهانات الرئيس له ، وكان

آخرها في اجتماع الرؤساء قبل وفاة الرئيس بيوم أو ساعات ، وكادته
أن تقتله آخر الإهانات فوقع مغشياً عليه ، ونقل إلى حجرة مجاورة حتى
أفاق؟؟ ...

وأما الرابع الذكي النبيه ، فقد عالج موقفه من الرئيس بلباقة الدهاة ،
وكان من حظ مصر أن بقي هذا الرجل في منصبه نائباً للرئيس ، وورثه
تركة مثقلة تنوء بحملها الجبال ، وكان الرجل أقوى من الجبال ...

مالككم وفرعون !

هكذا سمى السيد كمال الدين حسين صديقه وزميل جهاده ورفيق
سلاحه الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، سماه فرعوناً وهو يسجل
شهادته في إحدى المحاكم مدلاً على أن عبد الناصر كان يحكم مصر كما
كان يحكمها فرعون ...

ولست مع السيد كمال الدين حسين في هذا التشبيه الذى لا يتفق مع
التاريخ ولا يتسق مع طبيعة العهدين ، عهد عبد الناصر وعهد الفرعاعين ...
فرعون مصر كان إلهاً أو ابن إله ، فإذا انفرد بسلطان مطلق ، لم
يكن هذا السلطان عند قدامى المصريين عملاً إداً أو شيئاً بغضاً ، بل كان
حقاً لفرعون رضى به المصريون رضاء المؤمن بآخرته ودنياه .

أما عبد الناصر فبشر ظهر سلطانه المطلق في جيل حضارى عرف
أسرار القمر وطوف بأرجائه ونقلوا فيه القلب من إنسان لإنسان ، وهو
جيل لا يمكن أن يسيغ هذا الحكم أو يرضاه ، وإن سكت عنه فسكوت
المضطرب ، ولا يعتبر صمت الأغلبية العظمى من المصريين على حكم الطغيان
منذ انقلاب مارس سنة ١٩٥٤ إلى مايو سنة ١٩٧١ رضاء عن هذا الحكم
أو تأييداً له ، وآية ذلك أن عشرات الألوف من المواطنين ثاروا على حكم
عبد الناصر ، سواء قبل هزيمة ١٩٦٧ أو بعدها ، ودليل ذلك إفراج
السادات عن نحو سبعين ألفاً من معارضى حكم عبد الناصر الذين كانوا
ينزلون المعتقلات والسجون ...

وحكم فرعون لم يتسم بمثل ما عاناه جيلنا من فقر وجوع ، إذ كان

فرعون يوزع على المصريين بالعدل والمساواة حصاد الأرض من قمح وشعير وغير ذلك من حاجات الحياة ، وباعتباره إلهاً أو ابن إله كان ينصف الضعيف من القوى ، ولا يحتاج لتدعيم سلطانه إلى هذا الجيش الكبير الذى رأيناه فى دولة المباحث والمخابرات .

ثم إن فرعون على جلال مقامه وواسع سلطانه ، كان ينصت إلى أفكار معاونيه ، ويأخذ برأيهم ، ويستشيرهم فى الأمور التى تمس حياة شعبه وتتصل بمجاد بلاده .

هكذا قال التاريخ وأيده القرآن الكريم فى أكثر من سورة وآية ...
وحتى فرعون موسى ، وهو أعتى الفراعين ، كان يستشير ويستشار .
وكان فرعون يحارب وينتصر ...

وكان الفراعين منذ عهد مينس يقررون الحقيقة حين يحاربون ، وينقشونها على المعابد بالصور والرسوم : ولم يشذ عنهم إلا رمسيس الثانى الذى انتصر فى حروب وانهمز فى حروب ، وكان كذاباً أشرأ حين ادعى لنفسه النصر فى كل الحروب ...

ولم يكن الفراعين فى حاجة إلى هذا الجيش من الصحفيين والإذاعيين لينشروا بين الناس كل هذا الكذب عن انتصارات مزعومة فى الحروب وفى ميادين الإصلاح الداخلى ، ولينافقوا لتزييف التاريخ تزيفاً مبدعاً ومفجعاً فاق كل ألوان التزييف التى رتب لها وأبدع فى إخراجها جوبلز رب الدعاية فى النصف الأول من القرن العشرين ، وإن كانت دعاوى جوبلز قد ساندتها النازية بما حققت فعلاً من انتصارات فى الداخل ، وانتصارات مذهلة فى ساحة الوغى إبان الحرب العالمية الثانية ، ومع ذلك

فقد كانت نهاية هتلر زعيم النازية معروفة منذ قام حزبه على الظلم والكبت والإرهاب .

وغسلنا بكذبنا ونفاقنا أنماخ جيل بأسره حتى اعتقد أننا تحولنا اجتماعياً وأصبحنا اشتراكيين ، لكل مواطن في خير بلاده نصيب : وحتى اعتقد أننا انتصرنا في حرب السويس سنة ١٩٥٦ واعتقد في براءة الأغرار أن الحرب في سنة ١٩٦٧ كانت لصالحنا ما دام الرئيس في موقعه لم يخلعه الأعداء وما دام النظام باقياً لم يصب بأى ضعف أو هوان .
وتسقط مصر ... ويحيا الرئيس ويحيا النظام ...

وكان الفراعنة يؤمنون ببعث وآخرة ، فبنوا أهراماتهم وقبورهم . واحتفظوا فيها بحاجات الدنيا ، فهم ذاهبون إلى عالم آخر ، بيد أنهم يوماً ما سيبعثون ...

وقال لنا هيكل في كتاب له باللغة الإنجليزية إن الرئيس جادله في الدين قبل رحيله بأيام ، وإنه ، أى الرئيس ، كان يرى أن الموت نهاية ليس بعدها ثواب أو عقاب ، وإنما موت ولا آخرة ، ونلتهم ولا بعث ، وهو رأى يكفره المسلمون بل تكفره جميع الأديان ، وحتى الفراعنة ، وإن لم يكن لهم نبي يبصرهم بقضايا الموت والحياة ، لم يفهم أن الإنسان يموت ، وأن الموت حق ، وأن الناس سوف يبعثون !

وفي عهد الفراعنة كان المهندسون والكيميائيون والأطباء والحكماء ، ورجال الدين ، وكبار القواد ، وغيرهم من الصفوة يستمتعون بحظوة ماحوطة ، ويجدون الأمان والطمأنينة في حياتهم الخاصة والعامة ، ويلقون من فرعون كل صنوف الرعاية ، ويحاطون في كل مكان بالتوقير والتكريم .
وفي عهد الرئيس عبد الناصر كان مصير كل هؤلاء غير مصير أجدادهم رعايا الفراعين ...

منهم من هاجر إلى أوروبا أو استراليا أو الأمريكتين لينجو من عذاب الإرهاب والتحقير ، وأصبح علماء في البلد الذى هاجر إليه ، بل أصبح بعضهم أعلاماً عالمين ...

ومنهم ، كما هو معلوم ، من نزل السجون والمعتقلات ، ولقى فيهما شيئاً لا يقل هولاً عما ينتظره الكفرة والملحدون يوم تنصب الموازين . ومنهم من قبل المهانة ورضى الخوان ، ووافق أحياناً ، إن لم يكن حفاظاً على لمقمة العيش وحماية لأولاده من التشريد ، فدرءاً لما قد يحيق به من عذاب كما حاق بغيره من الزملاء الساخطين ...

وفى عهود الفراغة كانت مصر أم الدنيا ، وكانت بلداً متفتحاً يأخذ الناس عنه العلوم والمعارف ، ويتأثرون أساليبه حين يتناولون حياتهم الخاصة من صدق فى المعاملة وأدب فى السلوك .

وكان المصريون يزهون على الجيران وسائر دول العالم بما يحتمقه لهم فرعون من عزة وكرامة بانتصاراته الحربية فى كل مكان ، وبما ييسره لهم من حياة رضية ، ومجتمع هو قمة فى حضارة ذلك الزمان .

ولكن الحقد الطبقي فى جيلنا سيطر على نفسية الحاكم ، فحُرم المصريون كثيراً من متع الحياة حتى قيل عن الضروريات إنها كماليات ... ولم يستمتع بحياة الترف والأبهة إلا الحاكم ومن يجرى فى فلكه من حرافيش الناس ... ولعلنا لم ننس بعد تلك الحكايات التى برزت فجأة بعد قصة خزانة الرئيس التى سرقوا منها أشياء بعد وفاته بشهور ، وعلمنا إذ ذاك كيف كان سامى شرف سكرتير عبد الناصر وغيره من طغمة الرئاسة يستوردون ثياب العرس « وجهاز » العرائس والمطابخ والثلاجات الكهربائية والسيارات « واللنشات » وغيرها من متع الحياة مما لم تسمع به أذن ولم تره عين ، وكان

كل ذلك يدخل مصر بلا جمارك ، ويسدد ثمنه من أموال قوى الشعب العاملة التي سرقوها وعوضوها خطباً ومقالات وشعارات !
وفي ذلك العهد السعيد هزم جيشنا بغدر القيادة وخيانتها ، ووضعنا الحوثة أنوفنا في الرغام ، حتى كان المصريون بعد هزيمة ١٩٦٧ ينكرون مصريتهم إن اضطروا إلى سفر خارج البلاد . ويزعمون لمن يسألهم عن جنسيتهم أنهم أسبان ! ...

هذه مقارنة سريعة لفرعون جيلنا ، وفرعون تلك الأيام . وهي مقارنة كنت أحب أن يذكرها السيد كمال الدين حسين وهو يدلي بشهادته في غرفة المشورة ، وهي شهادة لها وزنها من شريك في المسؤولية ، إذا خلع لقباً على صاحبه كان عليه أن يحسن الخيار في الألقاب ! ...

وسوف يضيق من هذه المقارنة ، ومن سائر فصول هذا الكتاب بعض النعجين نالوا الخير كل الخير في التجربة الناصرية ، وبالرغم من أننا في يقينهم موتورون ، إلا أننا لا نكتب مانكتب إلا نقلاً عما تحت يدينا من وثائق وأسانيد ، وتتمثل هذه الوثائق والأسانيد فيما يتحدث عنه العالم ، صحافته وصحافتنا ، كتبه وكتبنا ، وهي جميعاً تسجل وتروى ما نال أحرار مصر ومفكريها من عذاب أيام الحكم الناصري ، وتتمثل أيضاً فيما قدمه لنا الناصريون من مقالات وكتب ، زعموا فيها أننا افترينا على الرئيس الراحل فيما نشر لنا من كتب ومقالات .

والحق إننا وصفنا عهده بأخف مما وصفوه هم أنفسهم حين تناولوا هذا العهد بالسرد والتحليل ...

لقد أصدر أحدهم كتاباً منذ شهر أو شهرين سماه « عبد الناصر المفترى عليه » تقليداً للأيوبي الذي أصدر كتاباً زلفى إلى الملك فؤاد بن اسماعيل ، سماه « إسماعيل المفترى عليه » !

وما أروع المعانى حين تتداعى ! فكلا الرجلين له فى مصر تاريخ وآى تاريخ . وأبرز ما فى هذا التداعى أن إسماعيل فتح قناة السويس واستدان نحو خمسين مليون جنيه . وعبد الناصر أغلق قناة السويس واستدان عشرة آلاف مليون جنيه ؟ ... !

وقد ادعى المؤلف أننا افترينا على عبد الناصر فيما صدر عنا ، لذلك يعلن فى مقدمة كتابه « بكل وضوح أننى أدافع بحماس شديد عن عبد الناصر ضد خصومه من اليمن المصرى والعربى » .

فإذا جاء فى دفاع الفتى شديد الحماسة لعبد الناصر ؟

ذكر فى مقدمة كتبه يصف نظام الرئيس الراحل فى معرض الحديث عما قام به الرئيس من إجراءات اشتراكية وتحولات اجتماعية عظيمة . « ولكنه قام بتسليم الإشراف عليها إلى بعض العناصر التافهة والانتهازية والبيروقراطية » .

ثم يقول لافضّ فوه « اكتشفنا أن الكثير من العناصر التى تقود الثورة المضادة التى تحاول تفتيت وبيع القطاع العام . وإلغاء الإصلاح الزراعى هى نفسها التى كانت تدافع عن ناصر والتى يمكن لها من البقاء ، وهذا دليل على وجود خلل خطير فى نظامه يجعل من وجود الانتهازيين والعناصر المعادية قاعدة عامة » .

ونحن لم نزعّم قط أن الرئيس عبد الناصر كان ساذجاً حتى يسمح لخصوم أمجاده أن يكونوا دعائم وجوده والمدافعين عنه ؟ !

ثم يقول المؤلف ، أكثر الله من أمثاله ، فى فصل من كتابه « ... فقد اكتسب حكمه طابعاً فردياً بارزاً ، وازداد دور أجهزة الأمن وأجهزة الدولة البيروقراطية والمعادية يحكم طبيعتها للجماهير » ،

وإذن ، فنيح والناصرى متفقان ! ...

ثم يستطرد الكاتب الذى أصدر كتاباً ليدافع بحماس شديد عن عبد الناصر ضد خصومه ، يستطرد قائلاً إن عبد الناصر كان يفتقد التنظيم الحزبى الذى يحميه ويصره ، وكان يقاوم فكرة هذا التنظيم بشدة « ... إن هذا العداء للعمل السياسى المنظم ولدور الجماهير والأحزاب قد أصبح أحد أسس النظام بحيث أصبحت ملازمة له ، ولقد أدى ذلك إلى نتائج مؤلمة على النطاق المحلى ثم أدى إلى نتائج مفرجة على النطاق العربى كذلك » .

ويدلل على النتائج المفرجة فى النطاق العربى ، بأن الرئيس الراحل اشترط لقيام الوحدة مع سوريا حل حزب البعث « ولم يطالب بحل الحزب لتكوين تنظيم حزبى جديد أكثر قوة وفعالية وإنما استبدل الحزب بتنظيم رجعى وانتهازى هو الاتحاد القومى » .

ويزيدنا المؤلف بياناً عن فساد الحكم فى عهد الزعيم الذى نذر نفسه للدفاع عنه فيقول « افتقدت البلاد أى مظهر من مظاهر الديمقراطية . وهذه بدورها أدت إلى نمو مراكز قوى وسيطرة عناصر وشخصيات هزيلة وتافهة على كثير من المراكز الحساسة وكل مؤهلاتها الولاء المطلق للشخص وليس الإيمان بموقف سياسى واجتماعى » .

ثم يمضى المؤلف ، حفظه الله ورعاه فيقول إن كل نكسة يصاب بها هذا النظام تكون نتيجةها « المنطقية هى زيادة القبضة البوليسية ، وبالإضافة إلى الطابع العسكرى للنظام ، والنشأة العسكرية التى تنفر من العمل الشعبى ، فقد كان هناك إصرار على إبعاد الجماهير كلية عن المشاركة فى العمل السياسى ، وعدم السماح لها بأى دور ، بل واستعمال القسوة المبالغ فيها إذا رأى إرهابات تبشر بذلك » .

ثم يقول في خلال فقرات من النقد اللاذع للإخوان المسلمين « وأنا أستنكر التعذيب الوحشي الذي جاق بهم كبشر يجب أن تصان آدميتهم » . هذا ملخص قصير لفقرات كثيرة من كتاب يرد على من افتروا على عبد الناصر ؟! ...

ولست أدري هل زاد « المفترون » حرقاً عما قيم به هذا الناصري ، سياسة الرئيس الراحل وأسلوبه في حكم البلاد ؟

لعل « المفترين » كانوا أرحم بعبد الناصر وهم يسجلون ما أصاب عصر والمصريين في عهده من عناء! ...

وقد اكتفينا بهذا القدر من الصورة التي قدمها « الصديق الجاهل » عن عبد الناصر كفرعون في مفهوم صديقه وزميله كمال الدين حسين ، وكدكتاتور في مفهوم العصر الحديث ...

وتعقيباً على المعنى الذي ذهب إليه كمال الدين حسين وهو يصور صديقه فرعوناً ، نذكر أن القضية التي شهد فيها كانت تتصل بقرار تأليف محكمة الدجوى المشهورة وعدم دستورية هذه المحكمة لأن قراراً من مجلس الرئاسة لم يصدر بتكوينها .

ورأي أن من علامات الدكتاتورية الناصرية أو الفرعونية الحديثة كان تأليف مجلس الرئاسة ذاك ، فهو نفسه غير دستوري ، لأنه صادر من لا يملك حق تكوينه كأعلى سلطة تدبر شؤون البلاد ، وكان ينبغي أن يستفتى الشعب في تكوينه وفي اختيار أعضائه استفتاءً حرّاً ، وكان هذا أمراً بعيد الاحتمال : لأن من طبع عبد الناصر ألا يعود في الرأي لأحد ، وربما كان يستفتى في بعض الأمور هيكلاً لما كان بين الرجلين من تجاوب ومودة وصفاء ...

لقد تنصل معظم أعضاء مجلس الثورة من سلبيات عبد الناصر إلا ذلك

الرجل الشجاع أنور السادات ، فقد أعلن في شتى المناسبات أن له نصيباً في هذه السليبيات .

ومع ذلك فإن أعضاء مجلس الثورة ذاك ، قد باركوا جميعاً ومن غير استثناء خطى عبد الناصر وهو يصعد درج الهرم ليعلن من فوق قمته عودة فرعون إلى المييدان ..

وكان بعض فراعنة مجلس الثورة مسؤولين عن الكوارث التي حلت ببلادنا مسؤولية زميل السلاح والكفاح الذي جرحه بعد أن مات ، ولم نسمع منهم كلمة سوء عنه في حياته ، صياحاً ، أو حتى في صوت خفيض كأنه الهمسات !..

لقد هياؤا للرئيس الراحل سلطاناً يزرى بسلطان فرعون حتى انفرد بالرأى ولم يعد يستشير أحداً في قرار ...
لقد صدر قرار تأميم قناة السويس ، ولم يعد فيه إلى مؤسساته الدستورية أو مجلس الوزراء ...

وتورط في الكونغو دون أن يعود إلى أحد فيما اتخذ من قرار ...
ودخل حرب اليمن ، وخسرنا عشرات الألوف من زهرة شبابنا :
قتلى وجرحى ، ونحو ألف مليون جنيهه إسترليني ، ثم خرجنا من اليمن مثخني الجراح بعد اجتماع الخرطوم ، ولم يعرف أقرب المقرين إليه شيئاً عن تورطنا في شؤون هذه البلاد ، وفوجيء الشعب ومجلس الأمة والاتحاد الاشتراكي بما اتخذ الرئيس من قرار ..

وهو — باعتباره — المسئول عن هزيمة سنة ١٩٦٧ وما جرته علينا هذه الهزيمة من كوارث لا نزال نجتحر إلى اليوم علقمها ، وكان وحده صاحب القرار !...:

وقس على هذه الأمثلة في شؤون الداخل والخارج ألف مثال ...

ولا علينا من صفيه الأستاذ حسنين هيكل وهو يدافع عن دكتاتورية صديقه الرئيس ، فيزعم أنه شيء فريد ، لا هو بالدكتاتور ، ولا هو بالديمقراطي ، بل هو نمط جديد بين أنماط الحكام ؟! ...

ويفسر هيكل السبب الذي حمل جمال عبد الناصر على إهماله المؤسسات الدستورية والديمقراطية فيقول: « إن عبد الناصر كانت لديه القدرة على تحسس الإرادة الشعبية ، وكان في القرارات التي يتخذها متحملاً للمسؤولية الكاملة يعبر بالفعل عن تلك الإرادة الشعبية » (١) .

إن عبد الناصر قد تجسدت فيه الإرادة الشعبية ، وإذن فلا داعي لأن يشرك أحداً معه في قرار ...

أسئلة قليلة للكاتب النابه الزميل هيكل ...

هل كانت الإرادة الشعبية راضية عن التدخل في الكونغو واليمن ؟
هل كانت الإرادة الشعبية سعيدة بتوريط مصر في حربين مع إسرائيل
خرجت منهما تنزف دمًا وعارا ؟

هل كانت الإرادة الشعبية تصفق له وهو يشرد عشرات الألوف من بيوتهم وأعمالهم وحوانيتهم وشركاتهم ؟

هل كانت الإرادة الشعبية سعيدة وهو يستغل عشرات الألوف من الأحرار ، ويعذب أصحاب الأقلام والأفكار ، يصلبهم على الحوائط ، وينتف الشعر من كل موقع ينبت فيه الشعر من أجسامهم ثم ينفخ بطونهم مرة ويطلق زبانيته كلابهم عليهم مرة أخرى تمزق لا ثيابهم بل أجسادهم ، ثم تنتزع أظافرهم ورموشهم ، وتحتم جرائمها التي يدلونها ويسمونها اليوم

(١) بصرحة عن عبد الناصر ص ٩٥ .

سلبيات ، بالفسق فى حرائرهم أمام رجالهم وأولادهم دون حياء من خلق
أو خشية من إله ؟ ...

هل أوحى الإرادة الشعبية برقت آلاف الموظفين بدون تحقيق ،
وفصل القضاة جميعاً للتخلص من أعلام العدالة الذين أبوا أن يحملوا القمام
ويجروا فى الركاب ، ورفضوا أن يطوعوا القانون لنزوات الحكام ،
وحرصوا على كرامة المهنة من أن تصاب بالعار كما أصيبت سائر الفئات ؟

هل كانت الإرادة الشعبية مرحبة بكل هذا الفساد فى التعيينات
والترقيات من درجة وزير إلى رئيس مؤسسة إلى مدير شركة حتى تدرج
الفساد نازلاً إلى الحراس والخفراء ؟

هل صفقت الإرادة الشعبية لتزييف إرادتها فى الاستفتاء على الرئاسة
أو المواثيق أو البيانات أو انتخابات الاتحاد الاشتراكى ، أو اختيار أعضاء
المؤسسات الدستورية الأخرى التى أنشئت للزينة والفخار ، وهى فى الحق
بؤر للفساد ؟

هل أوصت الإرادة الشعبية بأن تخاصم مصر معظم شقيقاتها العربيات ،
وتدير معهم معارك بالسلاح وباللسان ، فى الوقت الذى يؤكد زميلنا هيكى
بأن الرئيس عبد الناصر جاء وحياً من السماء لتتجسد فيه الوحدة العربية
ويعيد مجد صلاح الدين فى لم الشمل وتعبئة الروح ضد العدو الصهيونى ،
وفى جميع الجبهات ؟

هل رحبت الإرادة الشعبية بما سلم به الرئيس للروس حين دعاهم
إلى مفاوضات الأمريكان للبحث عن مخرج لمصر بعد هزيمة ١٩٦٧ وأعطاهم

— ٥٤ —

تفويضاً على بياض ، وطلب منهم ألا يرجعوا إليه في أى قرار يتخذونه
في مصرنا ، ولو كان قراراً يخجل ويشين ؟

ما لكم وفرعون ...

لقد كان في مصر دكتاتور يحكم ، ولم يكن فيها فرعون ، فإن لفرعون
ميزات وحسنات ؟! ...

جرائم لاسليبات

بعض الناس يسمى الجرائم التي ارتكبت في حق المواطنين سلبيات
يحسن أن نغفلها وعفا الله عما سلف ، ما دام الرئيس السادات قد عالجها
ومسح دموع الأيامي واليتامي الذين قتل آباؤهم واستشهدوا ، أو فصلوا
وشردوا ! ...

إن كثيراً مما حدث في مصر خلال حكم الرئيس جمال عبد الناصر
ليس في حاجة إلى وثائق نعود إليها بعد خمسين سنة ، فهو مكشوف
ومعروف يعلن عن نفسه وليس سرّاً من أهرار الثورة التي اعتبرناها ثورتنا
جميعاً ، وأرادت فئة قليلة شريرة أن تحتكرها لنفسها، وترتع في خيراتها
وتستعبد باسمها أحرار البلاد من ضباط ومدنيين جلّت أقدارهم أو هانت
موازينهم .

لقد محا الرئيس السادات آثار الجرائم التي ارتكبتها لجان التطهير ومحكمة
الثورة ومحكمة الغدر انتهاء محكمة الدجوى تلميذ المهداوى في العراق ،
وأصبحت ذكرى هذه اللجان والمحاكم تثير السخرية والتندر والاستهزاء ..
نريد أن نعلم صحة الإشاعات التي لا تكف الألسنة عن ذكرها والتعليق
عليها ...

هل صحيح أن في صحراء مدينة نصر كشف عمال البناء عشرات أو
مئات الجثث مدفونة في الرمل بأزيائها المختلفة ، ممثلة لقوى الشعب العاملة
من عمال وفلاحين ومثقفين ؟

وإذا صح هذا فن ذا الذي دفنهم ؟

وهذا الذى دنفهم ، هل عوقب وأعدم وصودرت أملاكه ؟ أو لا يزال يرتع فى خير منسوب أو مال مسروق والدم يقطر من يديه إعلاناً بأن الطغيان سيد لا يهان ؟ ...

أما الذين أهانوا المواطنين وعذبوهم وأهدروا آدميتهم فليس هناك شك فى ارتكابهم هذه الجرائم ، فإن حكم المحكمة الذى أصدرته فى قضية المستشار على جريشة قد قطع الشك باليقين .

ماذا حدث مع مستشار ؟

قالت المحكمة : « عذبوه بوحشية ، فأوسعوه ضرباً حتى تسوسوا وجهه واختلطت معالمه واختفت ملامحه حتى عز على جاره وصديقه التعرف عليه إلا بعد التفريس فيه وإطالة النظر إليه ... مزقوا جسده بالسياط حتى أثخنوه جراحاً ... أسالوا دمه حتى استحال قيحاً وصديداً ... أذلوه حساً ومعنى حتى أعجزوه من أن يقف على قدميه وأرغموه على أن يزحف على أربع ، وكان غاية الهزء والازدراء والتفنن فى القسوة والتعذيب وإلحاق الإهانة والهوان به أن يطلبوا منه أن ينبج كالكلاب . علقوا جسده وألبوه بالسياط وقذفوه بأقذع وأفحش ألفاظ الأسباب . »

فعل زبانية السجن الحربى هذا فى قاض ، ولنتخيل ما يمكن أن يصنع فى غير القضاة !

وشهد شاهد بأنه دعى إلى السجن الحربى لسؤاله ، ودخل إلى « باستيل مصر الرهيب » كما سماه المعتقلون « فإذ به يفاحاً وكأنه على معركة والجثث داخل السجن ملقاة على الأرض الملوثة بالدماء ، وأنه يكاد يكون قد ووطأ بعض هذه الجثث ، وإذ به وسط صراخ وأنين ونباح كلاب ، واقنادهو إلى غرفة عمليات السجن وهى غرفة مفتحة الأبواب وقد علق فيها البشر

كالذبائح ، وقد تولى كل ذبيحة أربعة يلهبونها بالسياط ، والمعدبون يستجرون بالله سبحانه وتعالى ، وكلما تمزقت السياط في أيديهم أبدلوها بغيرها جديدة ، ثم أدخلوه غرفة يمثلون فيها بالجثث » .

وقرر الشاهد « أن الاعتداء على المستشار على جريشة وقع أمامه وفي حضور العميد سعد زغلول وحسن خايل وحسين كفاي ، وأن أشخاصاً من العسكريين كانوا ينهالون بالضرب بأيديهم وأرجلهم على المدعى (يقصد المستشار جريشة) وكلما وقع إعياء رفعوه ليضربوه وهم يسبونونه بألفاظ يعف اللسان عن ذكرها » .

ويسجل الحكم صورة مروعة لحالة المستشار جريشة . فقد طلبوا منه أن ينزل من زنزانه (للتمام) وقال الشاهد يصف نزول جريشة للتمام « إنه شاهد شخصاً ينزل زاحفاً على أربع ، ركبتيه وكوعيه وهو يصرخ ويئن أثناء نزوله سلام السجن الحربى الخرسانية المرهقة للشخص السليم العادى ... » ثم يقول الشاهد إنه بعد التمام بتسجيل الأسماء « صعد نزيل الزنانه ٤٩ (يقصد جريشة) بنفس الطريقة التى نزل بها زاحفاً على أربع »

كان القصد من تعذيب جريشة بهذه الصورة التى لم تعرفها حتى العصور الوسطى ، لإلقاء الرعب فى قلوب سائر المعتقلين وكان الضباط الزبانية يقولون لهم ، إننا نفعل كل هذا بقاض فما بالكُم أنتم إذا أردنا تعذيبكم ؟ !

وكان الدكتور رمزى استينو الشاهد الأول فى قضية المستشار على جريشة ، وكان يشغل وقت القبض على جريشة منصب نائب رئيس الوزراء لشئون التموين ، وقد شهد بأن العهد « كان عهد إرهاب وممتهلات وتعذيب بالسجن الحربى وثكنات مصطفى كامل بالإسكندرية ، وكان يقوم على تلفيق التهم للأبرياء » .

ويبدو أن المسؤولين عن الحكم في ذلك الوقت قد انعقدت نيتهم على قتل جريشة ، وفي ذلك سجلت المحكمة على لسان أحد الشهود بأن شمس بدران قال « إن أمراً صدر إليّ من الرئيس بتعذيب جريشة حتى الموت »!...

وقد دمغت المحكمة سلوك الحاكم « بأن التعذيب كان نظام عهد وأسلوب حكم إرهابي كان يهدد كل إنسان حتى نواب رئيس الوزراء » ثم قالت عن أصحابه « إنه عار على من ارتكبه وخزى له في الدنيا والآخرة ».

وقد بلغت الخسة والدناءة بضباط السجن الحربى فعمدوا إلى تحطيم جريشة وهددوه كما فعلوا بغيره بالاعتداء على عرض قرينته ، وفي ذلك تقول المحكمة « كانت هناك سيدات يعلقنهن ويضربونهن ، وهددوا المدعى (أى جريشة) بإحضار زوجته لتعذيبها والاعتداء على عرضها كما فعلوا مع آخرين أحضروا زوجاتهم وأخواتهم وأصهارهم ومنهم على سبيل المثال الشيخ محمد عبد المقصود الذى أحضروا زوجته وبناته وأزواجهن وزوجات أولاده وكذلك المستشار مأمون الهضيبي الذى أحضروا زوج ابنته وأخواته البنات ووالدته » .

أكاد بعد ذلك أن أصدق ما أسرّ إلىّ به أحد المقربين من الرئيس الراحل سنة ١٩٦٦ فقد قال إن « صفيّا » من أصفياء الرئيس جاءه ضابط من المخابرات — وكان ذلك في مكتب الراوية — يشكو جريمة ارتكبت أمامه وهى أن فلانة بنت أخت المعتقل فلان ، وهى لم تتجاوز الرابعة عشرة من عمرها قد أحضروها وفسقوا بها جندياً بعد آخر حتى ماتت ؟!

وذعر « الصفيّا » لهذا النبأ ، وذهب في سيارة الراوية إلى بيت الرئيس لينهى إليه هذا النبأ الخطير الذى تجرد من إنسانية الإنسان ونقل مصر إلى حياة الغاب ، وإذا الرئيس يقول له « وانت مالك .. هى بنت أختك ؟ »!!

وصدم «الصفى» صدمتين ، الأولى أنه لم يكن يعلم أن الرئيس يعلم بكل ما يجرى فى السجون والمعتقلات ... والثانية أنه بنقل النبأ إلى الرئيس فى أسلوب الساخط على الفعل قد شذ عن النقاء الثورى ! الذى يفترض فى صاحبه التجاوب مع النظام وتأييده لكل ما يرتكب من جرائم وآثام .. وعقاب الصابئين أمثاله شديد الوقع على النفس والولد والمال ...

ووقع الرجل عند درج « السلامك » ونقله الراوية الذى كان فى انتظاره بالسيارة إلى المشفى حيث بقى هناك ثلاثة أشهر يعالجون قلبه ، ولم يسأل عنه الرئيس إلا قبيل خروجه منه بأيام ؟

وخلال الأشهر الثلاثة التى كان يعالج فيها «الصفى» نقل ضابط المخابرات الذى روى قصة الفتاة ومصرعها إلى أسوان ثم أحيل إلى المعاش ! إن فن التعذيب ، وقد أصبح التعذيب فناً فى العهد الماضى ، قد وضعت له قواعد وأسس يلتزم بها أصحابها ، وينودون بالطبع عن النظام الذى أبدعها والذى يجب أن يدوم وإلا طارت رقابهم بزواله ...

وقد حدثنا الرئيس السادات فى ١٥ مايو سنة ١٩٧١ بأن رئيساً للوزارة فى عهد الراحل عبد الناصر وهو من أبرز أعضاء مجلس الثورة استورد بعشرات الألوف من الجنيئات أدوات للتعذيب من الخارج .

وأذيع حديث الرئيس فى الراديو ، واستمعنا إليه وهو يرويه عبر التلفزيون ، وقرأناه فى الصحف ، ولم نكن نعلم حتى ذلك الوقت أن للتعذيب أدواته ، فذلك تاريخ قديم لعهود الظلام إبان العصور الوسطى أو فى محاكم التفتيش التى أنشأها الأسبان .

وإذا كان رئيس الوزراء ذاك قد استورد أدوات للتعذيب فلا بد أنه خطط لمزاوتها ودرب زبانيته على استعمالها ، وفى ذلك تروى القصص والحكايات .

منها حكاية المستشار جريشة التي أوصى شمس بدران بتعذيبه حتى الموت ! ومنها تعذيب الشيوعيين والإخوان المسلمين بوسائل مشابهة لما اتبع مع ذلك المستشار ، وزيد عليها تعذيب معنوى لا يحتاج إلى أدوات بل يحتاج إلى جند خصصوا للفسق في المعتقلين أو في حرائرهم وعلى مشهد منهم... ومنها قتل المعتقلين أو دفنهم أحياء في صحراء مدينة نصر ، ومنها ما عمد إليه الزبانية من استغلال حاجة الزوجات وبناتهن إلى المال بعد أن حرموا عائلتهن وحرموا ثروته التي صادروها فراودوهن عن أنفسهن ، ووصلوا مع بعضهن إلى بغيتهم ، وزلت الشريقات واعتدن الزلل ! ...

ولم يكتف الزبانية بذلك ، بل حاربوا من لجأ إلى الخارج في رزقه ، وطاردوه عند الدولة التي آوته أو استعانت به وكل ذلك تزيدياً في الظالم والعدوان .

ثم ماذا ؟

ومناسبة اعتراف المسؤولين عن المخابرات في عهد الرئيس الراحل بأن الدولة كانت ترى السم أداة في أى حوار مع خصومها ، يتساءل الناس كيف قتل الدكتور أنور المقتي أحد أعلام الطب في مصر ؟

هل صحيح أنه تناول السم دون أن يدري بعد أن وقع الكشف الطبي على الرئيس الراحل بحضرة جمع من زملائه الأطباء ؟

وهل ناولوه السم لأنه جراً وحده وأعلن ضرورة إعفاء الرئيس من مسؤولياته لأن المرض يؤثر على تصرفاته بما يضر المصلحة العامة ؟

إذا صح هذا فمن ذا الذى ناوله السم ؟

أعتقد أن الذين دسوا السم للطبيب عصبة مراكز القوى ، لأن تنحية الرئيس المريض ستأتى مكانه برئيس معافى سليم يكشف جرائمهم وفضائحهم

ومحرمهم السلطان المطلق الذى يسوسون به أمور البلاد كضبيعة ورثوها عن آبائهم وأمهاتهم ! .

متى يصح الصحيح ويؤخذ المحرمون بجرائمهم ؟

وإذا تركنا هذه الجرائم الخطيرة التى تمس حياة الإنسان وعرضه ،
والتي يسمونها سلبيات تدليلاً لها ، كما سموها نكسة تلك الهزيمة الشنعاء ،
وهي تسمية تكشف عن وزن صاحبها للنكبات والويلات !

إذا تركنا هذه الجرائم ، فإن هناك جرائم أخرى ارتكبتها أصحابها . ولا
يزالون يستمتعون بحق المواطن الصالح النظيف كأنهم لم يسرقوا ولم ينيبوا
ولم ينصبوا ولم يستغلوا الوظيفة التى شغلوها أو السلطان الذى تبوءوه حتى
استشرى الفساد وكاد أن يصبح قاعدة للحياة فى البلاد .

هل حوسب الذين استغلوا صلة النسب بالسيد على صبرى رئيس
مجلس الوزراء فى قضية الاستيراد والتصدير ؟

هل نوقشت أسباب الخلاف التى وقعت بين النائب العام المستشار
محمد عبد السلام ووزير تموين ذلك الزمان ؟ وهل حوسب هذا الوزير
أمام القضاء أو أمام مجلس الشعب فيما وجهه إليه النائب العام من انحرافات ؟
وماذا عن قضية الشركة العقارية المصرية ، وما دور وزير الإصلاح
الزراعى فى ذلك العهد العامر بقضايا الفساد ؟

وماذا اتخذ من إجراء فيما حدثنا عنه النائب العام بالوثائق والأسانيد
خاصةً بقضية النقل البحرى المتهمة فيها عدل وزير المواصلات ؟

وهل سئل محافظ القاهرة الذى أعطى القانون إجازة عما ذكره النائب
العام فى كتابه الموثق عن تصرفات المحافظ وكلها خطايا وهنات ؟

وهل حوكم امرؤ من المهربين الذين حمىهم السلطات ؟ وهل صحيح

أن الرئيس الراحل عفا عنهم ورد لهم أموالهم كما حدثنا بذلك كبير في القصر الجمهوري في مقال له عن الرئيس بعد وفاته وهو يعد له الأفضال والحسنات ؟
هذه أسئلة لجرائم نشرها وقصها النائب العام في كتاب قرأه عشرات الألوف من المواطنين ، فهل تحركت سيادة القانون لمحاسبة هؤلاء المجرمين ونصبت لهم الموازين ووقعت على كل منهم ما يستحق من جزاء حتى يكون عبرة لكل من يفكر في ظلم الناس أو سلب أموال تحالف قوى الشعب العاملة التي يحكمون ويسيطرون باسمها على مقدرات الناس ؟
وهناك مئات الأسئلة وكل سؤال ينطوي على رواية أو قصة يجب أن يكون لها حساب وعقاب .

سؤال عما نشرته أخبار اليوم في أغسطس ١٩٧٣ عن ملايين هربت إلى سويسرا ، وقالت الصحيفة إن سفيرنا استطاع أن يحصل على مليونين منها ، وأنه سوف يجاهد عند المسؤولين في ذلك البلد ليسترد لمصر نحو تسعة ملايين أخرى ، خرجت منها عملة صعبة في وقت ندرت فيه هذه العملات !

ما أظن اشتراكياً مصرياً من أصحاب الملايين الجدد هو الذي هرب هذه الملايين ، وإلا ذكرت الصحيفة اسمه وفضحت سره واستغلت قصة تهريبه لهذه الملايين لتظهر همة الحكومة في السعي وراء صالح البلاد !
إنه بلا جدال شخصية كبيرة جداً إذا عرف اسمها تهدم الصرح العالي ، وانهارت الدعوة وصاحبها ، وهربت القتران من السفينة ، وأسدل الستار على جيل من تاريخ مصر هو أسوأ ما عرفته مصر من أجيال ؟!

إذا لم يكن استنتاجنا صحيحاً فلم حبس عن المواطنين الاسم أو الأسماء التي هربت أموال الشعب ؟ وما الفائدة من نشر الخبر إن لم يكشف سره

وتذاع تفاصيله ؟ وماذا تم في الملايين الأخرى ؟ هل استردتها البلاد أو لا يزال السفير يجاهد ولا تزال الحكومة تنتظر نتائج هذا الجهاد ؟ ..
لعله سؤال يحول دون الإجابة عنه مقام صاحبه ذو الحصانات
والقداسات ؟

وفي كتاب (القضية الكبرى) الذي كتب مقدمته الضابط إبراهيم الطحاوي سكرتير هيئة التحرير وأحد الزعماء الذين قادوا المظاهرات في مارس ١٩٥٤ تهتف بسقوط الحرية والسنهوري الجاهل احتجاجاً على عودة الدستور والحریات للبلاد . في إلهذا الكتاب يقول مؤلفه « وقد جمعت مجوهرات أسرة محمد على بالأسكندرية في ٣٧ صندوقاً سعة الصندوق متر واحد مكعب » (١) .

أین هی تلك المجوهرات ؟ ومن الذى جردها وتسلمها ؟ وأین وثائق الجرد والتسليم ؟ هل بيعت لحساب الدولة أو لحساب بعض الأفراد ؟ أو هی لا تزال فی صناديقها محبوسة لم يكشف بعد عنها النقاب ؟
ويجر السؤال سؤالا ...

وأین مجوهرات أسرة محمد على التى جمعت من قصور الأسرة فی القاهرة ؟

لقد جردها واستلمها ثلاثة من الضباط ، أعرف منهم اثنين ، واحداً كان زميلي بالمدرسة الخديوية وكم لعبنا معاً كرة الشراب ! ... ويقع فی بیروت ويعيش حياة مرفهة فهو واحد من أصحاب الملايين هناك . والثانى كان تلميذى فی معهد الصحافة ، وقد باع منذ عهد قريب - كما يقولون - قصرآ له بمدينة المهندسين قبض ثمناً له تسعين ألفاً من الجنيهات !

أين مجوهرات قصور القاهرة ؟ هل بيعت هى الأخرى لحساب الدولة أو لحساب بعض الأفراد ؟ أو هى لا تزال فى صناديقها حبيسة لم يكشف بعد عنها النقاب ؟

سؤالان لا يحيران الدولة إن هى جدت فى البحث والاستقصاء ، وسوف تجد أن بعض هذه المجوهرات قد بدد ، وعليها أن تسأل أصحاب هذا الثراء الجديد المفاجئ عن مصادر ثرائهم فإن أثبتوا أنه إرث من الآباء كان بها ، وإن عجزوا وجب تقديمهم للقضاء ليسترد تحالف قوى الشعب العامة حقه من لصوص القصور وما فيها من مجوهرات ...

وهناك سؤال يجرى على كل لسان فى النوادى والمقاهى والصالونات .. قيل إن صائغاً فى إحدى عواصم أوروبا دهش حين عرض عليه فتي وسيم غض الإهاب شراء قطعة من الجواهر نادرة المثال ، وكى يتأكد الرجل من الجوهرة عاد إلى أضيابه ، فثل هذه القطعة من المجوهرات لها حسب ونسب كمخيول السباق ، ووجد الصائغ أنه باعها من ثلاثين عاماً لشاه إيران .

واستأذن الرجل من الفتى لحظات ، فقد تأكد أن الجوهرة مسروقة بلا جدال ، واستدعى الشرطة التى أخذت تسأل الفتى من أين جاء بها وهى ملك لإمبراطور إيران .

وتدخلت السفارة المصرية وأنقذت الفتى من السؤال والجواب ... وكان الشاه قد أهدى هذه الجوهرة لزوجته الأولى الإمبراطورة فوزية شقيقة فاروق وابنة فؤاد ...

وكانت الثورة قد صادرتها فيما صادرت من مجوهرات لا يعرف الشعب أين مصيرها الآن ؟ وإن عرف أن « واسطة » العقد قد سطا عليها لابن رجل مشهور طار صيته كل مطار ؟

هل هذا الخبر صحيح أو هو حديث نواد « وقهوات » ؟

وهذه قصة مماثلة بيد أنها تسمو على الشائعات ...

وُضع المليونير عبود هو وابنته تحت الحراسة ، وكان الأب قد أهدى ابنته طاقماً للمائدة من الفضة الأصلية في إحدى المناسبات .

وكان الطاقم الرائع النادر يحمل باللاتينية الحرفين الأولين من اسم الإبنة منى عبود M . A وكان هذا الطاقم ضمن أثاث بيتها الذى صادروا كل شىء فيه حتى الأحذية والثياب !..

وفى لندن عرضت طاقم الفضية للبيع سيدة أنيقة كان من غريب المصادفات أن اسمها هى الأخرى يحمل باللاتينية الحرفين الأولين M . A (١)

واشترى الرجل الطاقم الفضى بضعف السعر الذى باع به لعبود منذ سنوات ، فكل شىء ارتفع ثمنه ، والفضة من هذا المقام وهذه الأصالة وعلى هذا الطراز تضاعف سعرها مرات ومرات ...

(١) كان المرحوم أحمد عبود باشا رجلاً عصامياً عمل فى جد فجر شبابه وانتهى إلى أن أصبح الرائد الثانى فى اقتصاد مصر بعد طلعت حرب باشا . وقد مصر كثيراً من الشركات الأجنبية كشركة السكر والبواخر الحديدية وغيرهما من دعائم الاقتصاد المصرى الذى كان فى يد الأجانب إذ ذاك .

ومن عجب أن زميله طلعت حرب زعيم الاقتصاد الرأسمالى فى مصر أقامت له الثورة مثلاً وأطلقت اسمه على شوارع وهياكل بينما اضطهدت عبوداً وصادرت أمواله وأبنته ، واضطر الرجل إلى الهجرة ومات فى الغرب ، ولم يكتفوا بذلك بل أطلقوا عليه كلباً ، سبوراً فى التافزيون يندد بنشأته المتواضعة فى حى باب الشعرية ويزعم أنه لم يكن مهندساً ! فأمروا عبد الناصر بوقف هذا الطراءى لئلا يُلحق بها شهادة لصالح الرجل الذى استطاع أن يبني كل هذه الأبناء دون أن يكون مهندساً ؟ وشهادته ضد الثورة التى تحارب رجلاً نشأ من قلب قوى الشعب العاملة فى حى فقير من أحياء القاهرة ...

حدث كل هذا العبود لأنه نصح للرئيس بمفاوضة الانجليز قبل حرب ١٩٥٦ ...

(م ٥ - تاريخ)

وقصة الطاقم تعرفها لندن ونحكيها المصريون هناك ، ولكن السؤال
 الخالد لا يزال حائراً ينتظر الجواب ... كيف سطروا على هذا الطاقم وكيف
 استقضوه من قائمة المصادر ؟
 ولا أتريد مما يقوله الناس . فأقوال الناس أكثر من أن تتسع لها
 صفحات كتاب ...

وبعد أن قرأت كتاب النائب العام المستشار محمد عبد السلام ، رأيتني
 لا أستبعد معظم ما يرويه الناس : وعلى الدولة وحدها ، وهي التي تعرف
 كل الأسرار . وهي المسؤولة عن أموال الشعب ومطاردة الفساد ، عليها
 أن تجيبنا أحياناً هي إشاعات أم هي حقائق بينات ؟
 لو أذن للقانون وهو السيد في دولة المؤسسات أن يلاحق كل ماذكرناه ،
 وجاء حقائق روينها ورواها غيرنا ، ويحاسب أصحابها ويأخذ بتلابيبهم
 ويوقع بهم الجزاء . لجلعنا من هؤلاء اللصوص والمجرمين عبرة لجيل اليوم
 ولما سوف يأتي بعده من أجيال

تاريخ الهوى

زميلنا النابة الأستاذ محمد حسنين هيكل صحفى وأديب ، وفى كتاب
قواد مطر (بصر احة عن عبد الناصر) بدا أيضاً مؤرخاً ومدقماً حين عرض
للأحداث التاريخ التى سبقت سنة ١٩٥٢ .

غير أن الأستاذ هيكل صاحب « بصر احة » لم يتسم بالبصر احة والدقة
فيما أجاب به على مطر بشأن كثير مما يتصل بتاريخ الرئيس الراحل جمال
عبد الناصر .

ونحن نعلم أن ما جاء فى حديث هيكل عن حياة عبد الناصر الخاصة
معظمه صحيح فيما يخصه هو ، أما « أن أحداً من الأولاد لا يملك عقاراً
باسمه » فذلك ما تنقضه أحاديث الناس ...

ويقول لنا الناس ، أقرب الناس إلى الأسرة، إن كريمته الفضيلين ،
تملك كل منهما فيللاً فى الشارع الذى يقع خلف حدائق الميريلاند ،
ويسميه سكان مصر الجديدة « شارع البرنسات » . ويقع فيه أيضاً قصر
السيد على صبرى ، ولست أدري من من عليه القوم الاشتراكيين
الآخرين يسكن هناك ؟

سموه شارع البرنسات لأنه مقصور على السادة الحكام وأبنائهم وبناتهم ،
وهى تسمية ساخرة من شعب يعلن عن سخطه دائماً بالسخرية والنكات ...

وليس عندي وصف للفيلتين اللتين تملكهما كريمتا الرئيس الراحل ،
وإن كان عندي بيان بروعة القصر الذى يملكه زعيم الشيوعيين فى مصر
السيد على صبرى ، وخاصة مطبخه وما يحتوى عليه المطبخ من آلات

وأدوات كهربية لا توجد إلا في البيت الأبيض وفي بعض بيوت أصحاب الملايين من الأمريكان ..!

ويقال إن كريمي الرئيس عبد الناصر تسكنان اليوم الفيلايتين كمستأجرتين لهما بعد أن بيعتا لهيئة من الهيئات ...

وحدثنا هيكل بأن الرئيس رحمه الله أبى أن يملك شيئاً لأنه كان مسؤولاً عن التحول الاجتماعى فى مصر ، ولم يحدثنا هيكل عن مسؤولية الرئيس فى التحول الأخلاقى الذى أصاب الشعب المصرى ، والذى كانت حصيلته ما رويناه فى فصول سابقة وما سوف نرويه من فصول مقبلة من هذا الكتاب ...!!

وبمناسبة ماحدثنا به هيكل عن التقشف الذى تعيشه أسرة عبد الناصر - نذكر له ما أخفته عنه الأسرة من حياتها الرخية التى تحياها ، جاهاً ومالا ، فإنها : بمقتضى القانون رقم ٧٧ لسنة ١٩٧٠ المنشور بالجريدة الرسمية فى ١٩ أكتوبر ١٩٧٠ قد نزلت الدولة لأسرته عن الدارين اللتين كان يشغلها عائلها الراحل ، سواء قصر القاهرة أو دار الأسكندرية ، كما تقرر للأسرة معاش يساوى ما كان يتقاضاه الرئيس السابق وهو كما سجل هيكل فى كتاب مطر « ٥٠٠ جنيه شهرياً مضافاً إليه ٢٥٠ جنيه كبدل تمثيل » .

ولا يعلم هيكل أن المعاش وبدل التمثيل معفيان من جميع الضرائب والرسوم ...

ولعله لا يعلم أيضاً أن القانون المذكور أضاف إلى المعاش شيئاً اسمه الخصاصات ؟

إن الخصاصات تشمل قصر القاهرة وفيلا المعمورة بالأسكندرية ، ونقصر حديثنا على قصر القاهرة الذى نزلت عنه الدولة لأسرته ، ولهذا

القصر تاريخ ، فقد كان في أول الأمر فيلا صغيرة يقطنها البكباشي جمال عبد الناصر عند قيام الثورة ، فلما ولي شؤون الحكم أضيف إلى الفيلا «ميس» سلاح الإشارة القريب منها ، فأصبحت فيلا كبيرة ، ثم ضم إلى مساحتها الشارع الذي يفصل بين «الميس» وسلاح الإشارة فأصبحت قصراً ، ثم ألحقوا بالقصر مبنى مدرسة سلاح الإشارة ، وبذلك بلغت مساحة القصر كما يقولون ثلاثة وعشرين فداناً ، وأصبح أكبر قصر اشتراكى في البلاد ! ولهذا القصر مطالب تؤدّيها الدولة تحت بند «المخصصات» .

للقصر إدارة وسكرتارية ، قيل إن فيها موظفاً في درجة وزير ! وقيل إن الذى يشتري اللحم والكوسة وسائر الخضار في درجة مدير عام ! ... وفى القصر خدم وحشم وحراس من الجنند يطوقونه من كل جهة ويمنعون الناس من المرور أمامه أو من خلفه ، وفيه سيارات وسائقون يزودونها يومياً بالزيت والبنزين ...

ويقولون أيضاً إن فى القصر ثلاث غرف للسينا ... وشيئاً لم أصدقه .
«طارأت تحت الأرض ومحطة للإذاعة وهى من أقوى الإذاعات ؟!!...»
وإنه بمقتضى المخصصات تتولى الدولة الإنفاق على كل ذلك .

وإذن فإن الأمر لم يقتصر على ثلاثة أرباع الألف من الجنهيات التى تمتقاضها الأسرة شهرياً كما ذكر هيكى فى أسلوب الحزين الذى يتحسر على الفاقة التى تعيش فيها أسرة عبد الناصر بعد رحيل عميدها الكبير ...

ثم أين هذه الأسرة ؟

إن المحروسين ، أنجال الراحل الكريم خمسة ، تزوج أربعة منهم ، ولم يبق مع الوالدة إلا خامسهم ، وقد تخرج الثلاثة فى الجامعات ويشغلون اليوم هم وأزواجهم وظائف هنا وهناك ، ودخول بعضهم يسيل لها لعاب الوزراء !

أما الفتى الخامس فهو مفرق طريق فى تاريخ مصر ...
لقد عقد أواصر النسب من شهور مع أسرة البدر اوى ، وبذلك
تعانقت الاشتراكية والرأسمالية ! والتقت التقدمية مع الرجعية ! ورضى
الشعب عن أعداء الشعب ! وانحسر المد الثورى ! وأطل الإقطاع برأسه ،
ومد يده ليطبع عليها ابن عبد الناصر قبلة الرضا والحنان ...
وفرحنا لاتفاق النقيضين ، وسمو العلاقات الإنسانية على الخلافات
العقائدية ، فربما جاءت آثار الحب بلون وسط فى السلوك وطرائق النظر
إلى الحياة ...
سوف يزف الفتى إلى عروسه بعد قليل ، وينتقل من قصر الاشتراكية
إلى قصور الإقطاع ! .

إن الشعب لا يضمن أبداً على قرينة الرئيس الراحل بكل ما يخفف عنها
بلاء الزمن ، وقد حنا الشعب نفسه من قبل على أم المصريين زوج الزعيم
الحالد سعد زغلول بعد رحيله ، فقرر لها معاشاً قدره مائة وخمسة وعشرون
جنيهاً دون أن يؤثرها بأى مخصصات ، على أن تقطن الدار الصغيرة التى
يملكها زوجها وكانت — ولا تزال — تسمى (بيت الأمة) التى حولت
بعد وفاتها إلى متحف يزوره المصريون ليعيشوا لحظات فى أمجاد سعد الذى
قاد مصر فى أعنى أيام الاحتلال ، وتحمل فى سبيلها النفى والاعتقال ،
آلف بين طوائفها وساس الأمور بالحب ولم يكن يعرف غير الحب
سبيلاً إلى قلوب الناس .

أليس من العدل ونحن نجتاز أزمة مالية عصبية ونجرى وراء الدائق
والسحتوت لنوفر الطعام للشعب ، أن تخصص الدولة فيلاً مناسبة للسيدة
قرينة الرئيس الراحل ، وتوفر بذلك عشرات الألوف من الجنيهات
التي تصرف على المخصصات ؟

إن قصر الرئيس الراحل بموقعه العظيم في منشية البكرى يمكن بيع قدر من مساحة أرضه ، وبمحصيلة البيع نبني فندقاً عالمياً يفرج عن أزمة الفنادق التي تعيشها مصر من ناحية ، ومن ناحية أخرى يكون الفندق مصدر دخل بالعملات الحرة ، وبذلك تشارك حرم الرئيس الراحل في خدمة بلادها بعد أن فات الأسرة أن تشارك بما لها أو رجاها في معركة العبور التي مسحت عن جبين مصر آثار الهزيمة والعار ؟ (١)

ونعود إلى فؤاد مطر وما أجاب به هيكل عن عفة التنظيم الواحد (الاتحاد الاشتراكي) إذ يقول « في النظام الذي يعتمد على التنظيم الواحد لا بد أن تكون هناك جيوب تستغل لنفسها مواقع السلطة دون أن يكون قصدها الاستفادة المالية » .

لو ان الأستاذ هيكل أراد أن يقول كلمة الحق في هذه الجيوب ، لسجل أن تاريخ مصر لم يشهد أحداً استغل البلاد مالياً مثلما استغلته هذه الجيوب ..

إن صاحب بصرحة لم يكن قط صريحاً في أمر هذه الجيوب ، لأنه يعلم أن أصحاب الملايين ، وأصحاب القصور ، وأصحاب الحدائق الغناء ، وأصحاب التجارات الواسعة ، وأصحاب السيارات الفخمة ، وغير ذلك من ترف الحياة ، كلهم من هذه الجيوب ، ولو طبق قانون من أين لك هذا تطبيقاً سليماً لرأى هيكل أن التنظيم الواحد قد تحول كله إلى جيوب ؟ ... وقد أعجبني هيكل وهو يعرض لتاريخ مصر ، فيحلل تحليلاً ممتعاً

(١) ونذكر لتاريخ أن رئيس الجمهورية الثالث محمد أنور السادات قد استشهد شقيقه الطيار في أول « طلعة » في هجوم أكتوبر ١٩٧٣ وبذلك سادمت أسرة السادات في سبيل مصر بالدم والجهد والدموع .

دور صلاح الدين الأيوبي ومحمد على الكبير وإن بالغ في الأمر وراح إلى بعيد ، فزعم لصلاح الدين ما ليس له ، فهو زعيم إسلامي وليس زعيماً عربياً كما يقول ، مثله مثل محمد على ، فكلاهما أعجمي وكلاهما عاش ومات لا يعرف إلا حصيلة ضئيلة من اللغة العربية للتفاهم العادي مع الخدم في القصور .

وأنا لا أذهب معه في أن محمد على كان يبني مجداً شخصياً في كل ما قدمه لمصر حتى نقلها من دولة متخلفة إلى دولة منافسة للدول المتحضرة في ذلك الزمان .

هل كان بناء القناطر الخيرية وشق الترع وإنشاء المصارف لمجد شخصي ؟
هل كان إدخال القطن وزراعته في مصر وإقامة مصانع الغزل والنسيج لأجناد شخصية ؟

هل كان إنشاء المدارس لكل علم وفن سعيّاً منه لمجد شخصي ؟ !
لقد أحدث محمد على حدثاً في تاريخ الشرق كله بإنشاء مدرسة للبنات يتعلمن فيها الطب ، وعين لها أكتفاً المعلمين والمعلمات ، وندب لإدارتها كبير الأطباء كلوت بك ، وألبسهن فاخر الثياب ، ووظف لهن (البلاتات) لرعاية نظافتهن ، وعين المتخرجات طبيبات في رتبة الملازم الثاني ، وأمر (بالبلطجية) — أي حملة البلط — لحراستهن أثناء أداء وظائفهن ...

هل أحدث محمد على هذا الحدث لبناء مجده الشخصي ؟

هل كان محمد على ساعياً إلى مجده الشخصي حين بعث البعوث من أبناء الفلاحين إلى أوروبا ليتعلموا ويعودوا لخدمة مواطنيهم من أبناء الشعب ؟ ولم يكن هيكل دقيقاً حين زعم أن أفراد هذه البعوث كانت تعود فتلقى المتاعب ، وقد أخطأه التوفيق في المثل الذي ضرب به برفاعة الطهطاوى

يُؤدّ عاد الرجل من الخارج فاختره محمد على لساناً له وعينه رئيساً لتحرير
الوقائع المصرية وتخرج فيها على يديه نخبة من صحفيي مصر ولبنان . ثم
وضع تحت تصرفه جميع الإمكانات التي تعينه على نشر العلوم والمعارف ،
ولم يلق الطهطاوى المتاعب إلا في عهد عباس الأول الذي أبعده إلى السودان ،
أما في عهد محمد على وفي عهدي سعيد وإسماعيل فكان الطهطاوى ألمع
المصريين الذين وكلت إليهم الدولة كثيراً من نشاطها في شؤون الصحافة
والتعليم .

إن المجد الشخصي لأى زعيم أو حاكم مرتبط بما يقدمه لبلاده من
خدمات ..

لمجد من كانت حرب اليمن التي بذرنا فيها نحو ألف مليون جنيه استرليني
مفضلاً عن أطنان من الذهب وزعت على القبائل حتى تعرّى نقدنا من غطاءه ،
ثم ضحيننا بعشرات الألوف من زهرة شبابنا ، وخرجنا منها في مهانة بعد
اجتماع الرؤساء في الخرطوم ؟

لمجد من كانت مغامراتنا في الكونغو بلا دافع مفهوم ؟
لمجد من غامرنا في حرب ١٩٦٧ وحاققت بنا هزيمة لم تشهدا مصر
هن آلاف السنين ؟

لمجد من أنشأنا الصحف في لبنان ، وقدمنا الملايين لنشر أوراق الدعاية
هو شراء ذمم الكتاب والمؤلفين ؟

ما أظن أن هذا كله ، وغيره كثير كان من أجل مصر التي جاءت
لبناء أجداد في الهواء وإقامة صروح على رمال ؟ ...

هوى فخر — يستحقه بلا مرأى — يتحدث هيكلي عن الموضوعات التي
تشرها في الأهرام ، ونشرها سواء من المحررين وأثارت الرئيس الراحل

الذى بلغ ضيقه بها حد الغضب فى كثير من الأيام فإذا « معظم الكتاب والصحفيين الذين اعتقلوا أيام جمال عبد الناصر كانوا فى الأهرام » .

وهذا صحيح ، فان كثيرين من كتاب الأهرام ، كالأستاذ الدكتور لويس عوض والأستاذ لطفى الخولى وغيرهما فى سائر الصحف والمجلات تعرضوا للغضب عبد الناصر ، وذلك لأنهم من المفكرين الذين لا بد مهمما تخرجوا وتحرزوا من أن ينجحوا فى رأى إلى ما يضيق له مثل هذا السلطان !

وهذه الشهادة الصادقة التى أدلى بها هيكل ليست فى جانب الرئيس الراحل نبال ، فهى وثيقة على أنه يعتبر رأى الحل الحاجة ، وليس عنده علاج لأصحاب الأفكار من الأحرار غير السجن والاعتقال !

وقد فات صحفيينا أن يسجل للتاريخ أيضاً الحنة التى مر بها عميله الصحفيين فى مصر الذى عرفته منابر البلاد وصحفها وإذاعاتها على مدى خمسين عاماً ، لا يكمل فيها خطيباً ومحاضراً ومعارضاً فى مجلس النواب ، ولا يمل من الكتابة فى الصحف التى بدأها فى الأهرام شعجاعاً جريئاً ، استطاع يوماً أن يقول للزعيم الخالد سعد زغلول . لا ... وقالها فى وقت كان المصريون يرون فى سعد أسطورة قد أيدته الله سبحانه وميزه فنضج البطيخ مخفوراً عليه اسمه ! وأن حروف هذا الاسم تظهر بين ليلة وأخرى منظومة بنجوم السماء ! ...

قالها الرجل فى اعتزاز وفى براءة وإخلاص ، وكان بذلك معارضاً سعداً العظيم ، ممثلاً جبهة الرفض فى ذلك الزمان ، وهو رفض المخلصين المؤمنين بما يعتقدون من غير مزايده ودون تهريج كما نرى فى جباه الرفض هذه الأيام .

لقد نشر الرجل رأياً في مجلة المصور يدور حول السعى لإقامة سلام دائم وعادل في الشرق الأوسط بحيث تعيش فيه دول المنطقة آمنة مطمئنة على حدودها ، وتتفرغ بذلك للإصلاح الداخلي كي تعيش في استقرار ورخاء ...

وكفر زُعرب ...

إن الشعارات قررت أن يُقذف بإسرائيل في البحر ... فكيف يجرؤ هذا الرجل ويعرض سلاماً تعيش فيه إسرائيل دولة لها حدود وكيان ؟
وصدر قرار الحرمان ...

يأزم الرجل بيته ، ويحرم راتبه ، ويمنع من أعز ما نذر له نفسه وقلبه ، يمنع من الكتابة في الصحف والمجلات ...
ولزم فكرى أباطة بيته ، وعزت عليه مطالب الحياة ، فهو وإن كان من أعرق البيوت المصرية التي لها في تاريخ مصر تاريخ ، إلا أنه من الفرع الذي لا يزعم لنفسه الغنى والثراء .

وتوسط هيكل ، واشترط الرئيس أن يعلن فكرى أباطة توبته ، ويعيد لإذلال « كانوسا » (١) أمام الله والناس .

وجاء هيكل بفكرى أباطة إلى الأهرام ، واستكتبه التوبة راعياً عارى الرأس حافى القدمين !؟ ...

(١) غضب البابا منذ عدة قرون على أحد الماوك : نأصدر قراراً بجرمانه ، وكاد الملك أن يسقط عن عرشه نتيجة لهذا الحرمان ، فذهب إلى بادة « كانوسا » حيث يقيم البابا ، وأعلن توبته أمام قصره راعياً سبعة أيام ، حاسر الرأس حافى القدمين .

إن هيكلًا : بصرحة ، لم يكن دقيقاً في إجاباته على فؤاد مطر ، بل تجاوز المنطق في كثير من هذه الإجابات !!...

لقد أبدى مطر شيئاً من الدهشة لنتائج الاستفتاءات التي أجراها الرئيس الراحل والتي أجبر الناس على إبداء الرأي فيها ، وهي استفتاءات تكاد تصل في الموافقة عليها إلى حد الإجماع ...

وقال هيكل إن المعارضين في كل استفتاء بما فيها الاستفتاء على رئاسة عبد الناصر للجمهورية لم يتجاوز عددهم من خمسة آلاف إلى عشرة آلاف مواطن .. وإن هذه الاستفتاءات كانت حرة وإن تزويراً ما لم يحدث في واحدة منها ؟!!...

ويعلم هيكل أنه كان في السجون والمعتقلات نحو سبعين ألف مواطن معارض لنظام الحكم ، وما أظن واحداً فيهم كان يصوت إلى جانب الرئيس الراحل لو أتاحت له الفرصة وأدلى بصوته في أى استفتاء ...

وما أظن واحداً من المثقفين الذين ساءهم حكم الفرد ، وعطل مواهبهم وشل نشاطهم البطش والطغيان كالحامين والأطباء والمهندسين والمعلمين وأساتذة الجامعات ، وهم يقدرون بعشرات الألوف ، ما أظن واحداً منهم — باستثناء المنافقين والمتنعين — صوت إلى جانب ما طرحه الرئيس من استفتاءات على رئاسة الجمهورية أو على المواثيق والبيانات ...

وما أظن واحداً ممن صادروا أمواله وخربوا بيته ، وسرقوا ممتلكاته ومصايغ زوجاته وبناته ، وهم أيضاً يقدرون بالألوف ، ما أظن واحداً منهم كان إلى جانب الرئيس في أى استفتاء ...

ولا شك أن أنصار الأحزاب وهم خصوم الثورة التي حالت بينهم

وبين دورهم السياسى وهم فى تقدير المنصفين لا يقل عددهم عن مائة ألف مواطن كانوا ضد أى استفتاء أجرى فى نظام الرئيس عبد الناصر ...

فإذا قدرنا أن لكل فرد من هؤلاء زوجة ناختبة وأربعة أنصار لهم حق الانتخاب من أولاده أو من أسرته لأصبح عدد الساخطين الكارهين للحكم أكثر من مليون مصرى سوف يقولون لا بالفم العريض ...

إحدى اثنتين : إما أن هذه الاستفتاءات كانت مزورة ، وإما أن هؤلاء جميعاً قد أصيبوا بلوثة فذهبوا إلى صناديق الانتخاب وقالوا..نعم؟! لقد ذهبت إلى قسم عابدين، لأسدد الغرامة المفروضة على كل من تخلف عن مزاولته واجبه فى التصويت على إحدى الاستفتاءات ...

ووجدتني قد صوتت فى هذا الاستفتاء؟! ...

هكذا قالت الدفاتر؟

وهكذا قال الشاويش !

وأعدت الجنيه إلى جيبى وكفى المؤمنين القتال ! ...

ونقرأ حوار هيكل مع مطر فى كثير من الشئون ، ونعجب لزمياننا النابه وهو يؤرخ ثم يصصر على أن يحكم هواه فى كبريات الأمور ...

إن هيكلًا يضغنى على الرئيس الراحل هالة من المجد لم يدعها الرجل لنفسه ، فيزعم أن بدء الجهاد فى فلسطين كان على يد عبد الناصر ، فهو الذى درب الإخوان المسلمين على الكر والفر ، وأنه وهب وقته وروحه لهذا التدريب .

ولم نذكر الصحف والكتب ، ولم يذكر الإخوان المسلمون ، بل لم

يذكر أى مواطن مصرى عاش هذه الأحداث وهم مئات الألوف ولا يزالون أحياء يرزقون ، لم يذكروا جميعاً إلا رجلاً واحداً كان على رأس هؤلاء المجاهدين هو القائمقام أحمد عبد العزيز الذى استشهد فى هذه الحملات وقيل إن أنصار الملك هم الذين قتلوه ...

ويجب هيكل فى حوارهِ مع مطر الدور الرئيسى الذى قامت به حكومة الوفد فى محاربة الإنجليز فى السويس بعد أن ألغت فى شجاعة وشهامة وثورية معاهدة ١٩٣٦، وتولت تزويد الفدائيين المصريين بالسلاح والمال ، ووقف من ورأهم فؤاد سراج الدين وعبد الفتاح حسن ، ويشهد بذلك وجيه أباطة وهو واحد من الضباط الأحرار النابهين .

ولا أزيد فى نقد ما أجاب به الأستاذ هيكل على أسئلة فؤاد مطر ، غير أننى أود أن أصحح - للتاريخ - قائمة طعام الرئيس ، وهى مكونة كما ذكرها هيكل « من الجينة المصرية البيضاء والجرجير والخيار والطماطم » فقد كان فيها أيضاً كما روى لنا أقرب المقربين للرئيس، بعض أنواع الجبن السويسرى الذى كانت الطائرات تحمله إلى مصر كل يوم اثنين من كل أسبوع .

ثم أضيف - للتاريخ أيضاً - أن الرئيس تناول مشروباً لذيذ الطعم عند زيارته لأمريكا ، وأعجب بهذا المشروب ، ومنذ عودته إلى الوطن والطائرات الأمريكية تحمل له هذا المشروب إلى يوم رحيله ، وكان المشروب ينقل على نفس الطائرات إلى بيروت يوم قطعت العلاقات بيننا وبين الولايات المتحدة ، ومن بيروت كانت تحمله الطائرات اللبنانية أو المصرية إلى مائدة الرئيس .

أشياء صغيرة فى حياة رجل كبير ...

ولنأرأى ..

حين سجل الجبرتي يومياته في كتابه « عجائب الآثار في التراجم والأخبار » لم يكتبها بعد مضي خمسين سنة من الأحداث التي عاشها ، بل سجلها يوماً بيوم ، مستلهماً ذكاه في تحليل ما يرى ويسمع ، وكانت رؤيته سليمة في معظم ما روى لنا من أخبار ، واتفق في كثير مع الوثائق الرسمية ، بل كان أحياناً أصدق منها وأوضح :

وكانت وثائق الجبرتي ، عقله الذي لم يطفف الكيل أو يخل في تقديره الميزان ، ثم ما رآه بنفسه أو سمعه من الخاصة القرييين من السلطان ، لذلك كان تأريخه للحملة الفرنسية وصدر أيام محمد علي من أدق ما كتب في هذا الموضوع ..

ويرى كثير من المؤرخين أن الجبرتي في يومياته وتحليله للأهمور أفضل في بعض الجوانب من التاريخ الذي كتب بأمر من الجنرال بوناپرت وسمى (وصف مصر) ولا يزال إلى اليوم مصدراً له قدره بين مراجع التاريخ .

ومع أن وصف مصر توافر على كتابته أعلام المفكرين في الحملة الفرنسية من علماء ومهندسين وأطباء وجيولوجيين وزراعيين ومؤرخين من أساطين المعرفة وأعضاء المجمع العلمي الفرنسي ، فإن بعض الأخطاء — عمداً أو عفواً — كانت واضحة في كثير من الفصول :

وقد كان الجبرتي محققاً ومدققاً في كل ما تعرض له عن الحملة الفرنسية ، وكذلك كان مؤرخاً متجرداً حين أعطى محمد علي حقه بالرغم مما ناله من أذى في عهده . غير أننا لا نزع أن الجبرتي تجرد عن عواطفه حين أرخ « للمماليك المصرية » كما كان يسميهم دائماً ، فقد كان هواه واضحاً معهم ، غير أن ذلك لم يؤثر على مقام كتابه الذي أصبح حتى يومنا هذا ، المصدر الأول لتلك الفترة من تاريخ البلاد .

وأضعف ما في كتاب الجبرتي الجزء الأول منه الذي تحدث فيه عن أجيال ما قبل الحملة الفرنسية ، فهو دراسة لم يعيشها الجبرتي بل نقلها عن غيره . ولم يكن غيره على المستوى الذي كان عليه مؤرخنا الكبير . ولو وضعت الحقائق المطوية ، والسجلات الحكومية ، والوثائق الرسمية تحت بصر الجبرتي لبرئ كتابه من النقد وخلا من الأخطاء .

لذلك رحبنا بأن يصدر الرئيس السادات قراراً بتأليف لجنة تجمع الوثائق الخاصة بتاريخ ثورة ٢٣ يوليو ، فان هذه الوثائق مبعثرة ، ونحن نكتب عن الثورة أحياناً ، وربما تكون كتابتنا صحيحة وصادقة لأننا عشنا التجربة ولأننا عدنا إلى كثيرين من أصحابها ، ورجعنا إلى ما نشروا من كتب ومقالات أو ما أذاعوا من أحاديث ومواقف وبيانات ، إلا أن بعض الجوانب من هذه الثورة لا يزال غامضاً أو لا تقوم على صحة وثيقة أو دليل .

ولنا رأى فيما جاء بعد ذلك من قرار الرئيس ، فان حبس الوثائق بعلم تجميعها خمسين سنة بحجب الفضل الذي سيقوم به الدولة من تجميع للوثائق والأسانيد .

ويعنى حبس الوثائق خمسين عاماً عقوبة لمؤرخى العصر الذين بعلمهم وتجربتهم ومعايشتهم لأحداث الثورة أقدر على تأريخ هذه الثورة تأريخاً سليماً ومدعماً وعلى مستوى من المسؤولية لن يتحقق بحال لحفدتنا من المؤرخين الذين سوف تنقصهم الروى الدقيقة التى ندعيا لأنفسنا إذا أتيتحت لنا كتابة هذه الحقبة من التاريخ .

ولست مع القرار فى تأليف لجنة لكتابة تاريخ الثورة ، على أن يكون لها مدخل هو الأيام التى سبقتها والتى لا أعرف متى تبدأ هذه الأيام ؟

إن الحكومة لا تكتب التاريخ ...

إن التاريخ لا يكتب بقرار ...

إن اللجنة التى ستكلف بكتابة تاريخ الثورة سوف تخطيء ، ولابد أن تخطيء كما يحدث عادة فى كل كتب التاريخ ، لأنها لجنة تألفت بقرار حكومى ، فإن خطأها سيجسمه الناس ، وسوف تذهب بهم الظنون ، وخاصة أن كتابة تاريخ الثورة سيدشرف عليه مسئولون لهم فى هذه الثورة — من بعيد أو قريب — قدر ونصيب ، وليست لهم العصمة التى هى لله سبحانه حتى يبرأ وجدانهم من الميل أو المجاملة أو غض الطرف عما يعيب .

اعطونا الوثائق والأسانيد ، فإن أخطأنا — وهذا وارد — فإن غيرنا سوف يصوب أخطأنا ، وسوف يجيئ آخر المطاف كتاب فيه من الدقة والجهد والأصالة ما يجعله مرجعاً لكل من يريد أن يعرف الحقيقة عن مصر والثورة بعيداً عن التأثير والتوجيه .

وهذا النقد البناء الذى أتعرض فيه لقرار جمهورى إنما عليه الإحساس .

(٦ م - تاريخ)

بالمسؤولية ، فأنا واحد من الذين كتبوا جانباً من تاريخ مصر الحديث ، وهو تاريخ الصحافة المصرية ، وكانت الوثائق التي تضمها إدارة المحفوظات في قصر عابدين رافداً من الروافد الأصيلة التي اغترفت منها هذا التاريخ ، وكان بعض هذه الوثائق باللغة التركية ولغات أجنبية أخرى أجهلها ، فكانت هذه الإدارة تترجمها لي وتقدمها بخط واضح معاونة منها على حل ما يستغل على من الوقائع والأحداث .

فإذا كان هذا قد حدث في عهد النظام الملكي ، وهو العهد الذي كان يخشى كلمة الحق في تاريخ الولاة والخديوين والسلاطين والملوك من أسرة محمد علي ، فإن تهيئة الفرصة لنا في عهد الجمهورية لدراسة أهم أحداث التاريخ التي مرت بمصر واجب محتوم على المسؤولين ترفعاً بالعهد عن أن يتهم بأنه يخشى الدرس والمتابعة ، وليس هناك ما يبرر هذه الخشية ما دمنا جميعاً نسعى لكشف المحبأ من بعض جوانب الثورة التي لا تزال غير معروفة أو ملروسة .

ولا بأس من أن تحبس عنا بعض الوثائق التي تمس الشؤون العسكرية نيت مصر في حالة حرب مع إسرائيل ، وإن كان الإسرائيليون قد سادروا الكتب الموثقة المسندة ، وعالجوا أسباب انتصاراتهم العسكرية ثم بينوا أسباب هزيمتهم الأخيرة في حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ .

لقد أبرقت لجميع المسؤولين على كل المستويات ، كما أبرقت لجميع صحف مصر فور صدور هذا القرار الجمهوري ، أسجل ما سجلته هنا ، ولم تنشر صحيفة ما برقيتي أو أشارت إليها ، بل لم تنشر أي صحيفة منها كلمة

ناييد أو اعراض ، كأن كتابة تاريخ مصر والثورة وحبس الوثائق خمسين سنة مسألة تافهة لا تستحق أن تختلف من أجلها الآراء ...



ومن هذا الإحساس بالعجز عن إعلان رأينا زاد إيماني بضرورة إطلاق الحرية للأفراد في إنشاء الصحف والمجلات ليجد مثل صحيفة تتجاوب معه أو أنشيء صحيفة تكون منبراً لي ولغيري ممن يرون آرائى ، أو يذهبون مذهبي في النظر إلى الأشياء ، ولا يكون صدورها معلقاً على شرط موافقة المجلس الأعلى للصحافة الذى ألفوه لمنح تراخيص الصحف أو يرفضها .

إن انتقال حق النظر في منح تراخيص الصحف من الجهة الإدارية إلى المجلس الأعلى للصحافة يعنى العودة بنا إلى عهد مراكز القوى ، وفى ذلك شجبت ورقة التطوير هذا التفكير إذ قال الرئيس السادات فى ورقته : « أعتقد أنه آن الأوان لكى نطرح جانباً مفهوم أن الاتحاد الاشتراكى سلطة فتلك كانت دعوى مراكز القوى التى قصدت منها أن تسيطر على كل السلطات بطريق خفى وبعيداً عن كل رقابة » ثم يتحدث عن رسالة الاتحاد الاشتراكى فيقول إنه « الإطار المنظم للحركة السياسية للجماهير الشعبية » ثم يقول : « الاتحاد الاشتراكى ليس حزباً حتى يكون الحزب الحاكم الذى يملئ إرادته على الحكومة والبرلمان » .

وقد أرادت الدولة أن تتخلص من سيطرة الاتحاد الاشتراكى على حق إصدار الصحف حتى تتجاوب مع ورقة التطوير ، فصدر قرار بإنشاء مجلس أعلى للصحافة ، وأصبح لهذا المجلس حق منح تراخيص الصحف والمجلات .

إن في السلطة التي منحت لهذا المجلس اعتداء على الدستور سيد القوائين ،
والذي كفّل في مادتيه ٤٧ ، ٤٨ حرية الرأي كبداً ، وأكد حق كل مواطن
في التعبير عن رأيه ونشره بأي وسيلة وأكد له من بين ذلك حق إصدار
الصحف .

ويبدو أن المجلس الأعلى للصحافة لا يصغي بالموودة إلى نصوص الدستور ،
ودليل ذلك أن بعض المواطنين تقدموا إليه طالبين الرخصة بصحيفة أو
مجلة ، ومضت على طلباتهم شهور وأسابيع ولم يتلقوا رداً سواء بالرفض
أو القبول ، مما دعا بعضهم إلى التماسي أمام مجلس الدولة ليفصل في أمره ،
وجه الحق فيه أبلج ولا ينبغي أن يحدث في أمره تقاعس أو تأخير .

وبصرف النظر عن مخالفة الدولة لنصوص الدستور في إنشاء هذا
المجلس ، فإن منطق الأشياء يفرض أن يكون لكل مواطن حق إصدار أي
صحيفة أو مجلة ، فهناك الاتحاد الاشتراكي وله صحفه وفي مصر كما قال لنا
الرئيس السادات في ذكرى ثورة ٢٣ يوليو ميم ويسار ، وكلا الجناحين بعيد
عن الاتحاد الاشتراكي وفي حاجة إلى أداة تعبير لإعلان آرائه وأفكاره
فكيف يتم له هذا الإعلان إن حرم صحيفه تعبر عن هذه الآراء والأفكار ؟

إذا كان من حقنا أن نرفض عضوية الاتحاد الاشتراكي ، فكيف نلزم
بقراءة صحفه وأقلامه ؟

إننا نتسول مكاناً عند صحف الاتحاد الاشتراكي لننشر فيه أفكارنا ...
إن المسؤولين عن صحف الاتحاد الاشتراكي وإن كانوا لا يخضعون
لرقابة ما فإن هناك طائفاً يحوم حولهم ويذكرهم دائماً بأنهم موظفون في
صحيفة ، يجري عليهم الرزق كما يجري عليهم النقل والفصل والتشريد .

صحيح أن هذا لم يحدث في عهد الرئيس السادات ، وخاصة أى إجراء من شأنه أن يفصل الصحفي أو يشرده ولكن من يضمن لرؤساء التحرير أن يطمئنوا إلى سلطانهم في صحفهم إذا غاب الرئيس السادات لسبب أو آخر عن موقعه ؟

لذلك فإننا حين نتسول مكاناً لننشر رأينا في هذه الصحف يحول الطائف الذى يحوم برئيس التحرير دون الاستجابة لتسولنا حتى لا يعرض نفسه للمساءلة أو التوبيخ أو وجع الدماغ !

وكم من مرة اعتذر صديقى رئيس التحرير عن نشر مقالاتي فهي حيناً—كما يقول—من نار ! وحيناً آخر يقول .. يا له من مقال ملعون !! ...

إن أصحاب اليمن واليسار والمنابر في الاتحاد الاشتراكي سوف يفتقدون جميعاً الصحف التي تعبر عن آرائهم ، وليس أمامهم إلا صحف الاتحاد الاشتراكي يقرعونها ، وليس من أمل في أن يكون لهم في تحريرها نصيب . إن صحف الرأي الآخر ، فضلاً عن أنها صمام الأمان للحريات . فسوف تكون أقوى سند للحكومة والنظام يوم تواجه البلاد الأزمات والمدهمات .

ما رأيكم في جهات الرفض هذه الأيام وهي تنفث سمومها منذ أعلن فك الارتباط الثاني على جبهة سيناء ؟

صحيح أن صحف الاتحاد الاشتراكي قد أبدعت في الرد عليها ، وكالت لها صاعاً بصاع ، وفندت مزاعم هؤلاء المرتزقة ومن يسعى سعيهم من ملوك الشعارات وشراذم المخدوعين الذين تظاهروا بالهتافات الوقحة ضد مصر ورجالها المجاهدين ...

إن تأييد صحف «الرأى الآخر» التى غابت عن الميدان ، هو التأييد الصادق النابع من ضمائر جماعات لا تربطها بالحكومة رابطة ، والتى يفهم تأييدها جبهات الرفض التى تزعم اليوم أن صحف الحكومة تؤيد الحكومة ...

إن صحفاً «لرأى الآخر» حين تدلى بدلوها مؤيدة لخطى زعيم البلاد، إنما نوّكد للخصوم أن مصر جميعاً وراء ذلك الرجل ، لم يتخلف منها قطاع حيث التقت صحف الحكومة وصحف المعارضة على رأى ، وحين يتم اللقاء على هذا النحو تبدو الدولة أمام العالم مستندة إلى جدار ضخّم من القوة والاتحاد .

إن تخف ضراوة المعارضة التى يشنها بعض الفلسطينيين لاتفاق سيناء ولما سوف يأتى بعد ذلك من اتفاقات ، لأن اتفاقاً منها سيقم دولة فلسطين ، وحينئذ سوف تطير الملايين التى تهبط على هيئة المنتفعين فى شكل إعانات ومعاونات ، وتبدد دون رقيب أو حسيب ...

لماذا كل هذا التدليل ؟

أليس غريباً أن تحجز للفلسطينيين أماكن فى الجامعات المصرية ، ذكرت الصحف أنها آلاف الأمكنة ، وأنهم لا يؤدون مقابل ذلك مليماً واحداً بل هى أماكن بالبحان تقدم لأبناء المجاهدين الذين شرد آباؤهم وانتزعت أراضيهم وصودرت أملاكهم فى فلسطين ؟!

وأغرب من هذا أن يعيش هؤلاء المشردون الذين فقدوا أراضيهم وأملاكهم أفضل مما يعيش خاصة المصريين ، فيتنقل الطلبة الفلسطينيون إلى الجامعات بسيارات المرسيدس ، وينزلون بيوتاً لا يقطنها إلا أغنيائنا الموسرون ...

إذا تم إنشاء دولة فلسطين ، وهو ما نبذل من أجله أرواح وأموال المصريين ، فهل ستمضى حياة هؤلاء الشباب مرفهة ناعمة ، نقلة وسكناً ولباساً كما هي حالهم اليوم ، وهو الأمر الذى يثير دهشة وتساؤل زملائهم من الطلبة المصريين ؟ ...

إن الإجابة واضحة فيما نسمع عن مظاهرات فى دمشق وبيروت ، ينظمها زعماء الفدائيين بتأييد من الروس ، يهتفون فيها بسقوط مصر ، وينعتونها بالخيانة ، ويتقيأون هتافات أخرى تباركها سوريا لسبب غير مفهوم .

كل هذا حتى لا تقوم دولة فلسطين ؟ !

وبعد فإن هذه المعارك تحتاج إلى أقلام الحمين واليسار لا لتنقد وتعارض وتصوب فقط بل لتؤيد الحكومة فى مثل ما نحن فيه ، ولتجهض قول من يدعى أن فى مصر معارضة للجهاد السادات ليس لها لسان يفصح ويبين . من هذا المنطق نحصر على أن تكون لنا صحفنا بعيداً عن سلطان الاتحاد الاشتراكي ومشاركته بالرأى أو بالتويل .

إن المجلس الأعلى للصحافة حين تباطأ فى السماح للمواطنين بإصدار صحف ومجلات إنما يعيد إلى الأذهان ذكرى مراكز القوى ، ويفسد المناخ الحر الذى نعيشه ، ويجعل الناس حيارى من هذا التناقض الغريب ، فبينما يدعو الرئيس السادات إلى الحرية بلا قيود أو حدود ويؤكد على سيادة القانون ، نجد

الحكومة تعطى بضعة أفراد حتى إعادة المعتقلات ممثلة في اعتقال حرية الكلمة وحرمان المواطنين من حق إصدار الصحف إلا بقرار من هؤلاء الأفراد وأربعة أخماس مجلسهم من الموظفين ، فهم محررون موظفون في صحف الاتحاد الاشتراكي أو موظفون في وزارة الإعلام ، أو أفراد لا تربطهم بالصحافة صلة أو نسب ! ..

مجلس أعلى للصحافة يتحكم في أعز ما يملكه الإنسان . فكره ورأيه ومع ذلك ليس لتحكمه معارضة أو استئناف ! ...

* * *

ماذا لنا بعد ذلك من رأى ؟

إن الذين اقترحوا ألا تحدد فترة لرئاسة السادات بل تمضى رئاسته مع الزمن إلى مدى حياة الرئيس ، إنما دعته إلى هذا الاقتراح دوافع نبيلة هي إيمانهم بالرجل وثقتهم فيه واطمئنانهم إليه .

وليس في هذا الاقتراح نفاق ، لأنه جاء من فئات الشعب المختلفة التي لا تربطها بالسلطان صلات مباشرة ، وإنما تجمع بينها وبين السادات هذه الوشائج الطيبة التي تربط عادة بين جماهير الشعب وبين زعيم البلاد .

والذين أصبحوا رؤساء لمدى الحياة — والأمثلة على ذلك قليلة — يمارسون عادة حكماً دكتاتورياً ، وليس السادات دكتاتوراً على أى حال ..

إن الرئاسة مدى الحياة لون يشبه نظم الحكم الملكي ، وقد ألغيناه ...

إن الرئاسة مدى الحياة لأى رئيس شهادة بأن بلاده قد خلت من الأكفاء ونضب فيها معين الرجال ، وليس هذا صحيحاً ، لأن مصر ، على مدى الأجيال المتعاقبة أنجبت من أعلام الزعماء والقادة المغاوير من زانوا

تاريخها ، إذا مات سيد منهم قام سيد فيهم ، ولا تزال مصر عامرة برجالها في شتى مواقع الحياة ...

إن الرئاسة مدى الحياة قد تملأ نفس أى رئيس بالزهو والكبرياء ، وقد تعرضه لتككب السبيل السوية ، لأن الطمأنينة إلى دوام السلطان في يد السلطان تفسد غالباً هذا السلطان ، وخاصة إذا كان في بلاده أئمة من حملة القرآن يخشون على ذيل بغلته أن يجراً على قطعها إنسان !

نحن في أشد الحاجة إلى السادات بضع سنوات أخرى ، لأنه أعلن جهاداً مقدساً ضد الظلم والطغيان ، ولأنه بدأ صفحة مشرقة في علاقتنا باخواننا العرب ، ولأنه استن أسلوباً واقعياً في سياستنا الداخلية والخارجية ، ولأننا لم نجن بعد ثمار جهاده في كل هذه الميادين .

إن صاحب ذيل البغلة عالم له مكانه المقدور ، وهو رجل فقه ودين ، ولعله بعد هذه السن وكل هذه التجارب قد فرغ من مباحج الدنيا فلا ينطق إلا حقاً ولا يقول إلا صدقاً ...

ففى أى عرف أو فى أى دين جساء أن بشراً قد خلا من العيوب والأخطاء ؟

وفى أى ناموس يكون رئيس الجمهورية فوق النقد أو الحاجة والنقاش ؟

فكيف ينتفض صاحب ذيل البغلة ويدعو بشدة إلى حرمان البلاد من حقها الدستوري في اختيار من تشاء لرئاسة الجمهورية خشية أن يذكر المنافسون في معركة الرئاسة عيباً في الرئيس السادات ؟

يبدو أن شيخنا قد أخطأ النظر ونسى التاريخ فظن أن على المنصة رئيساً آخر وأن الزمن قد وقف عند سنة ١٩٦٥ ...

— ٩٠ —

ويبدو أن شيخنا لا يعلم أن الرئيس السادات لا يركب البغال والحمير
ولا يعنيه أن يكون لها ذيل طويل أو قصير !

لقد امتطى شيخنا موجة انتهى زمانها ، فنحن نعيش عهداً كلمة الحق
تؤنس ، والرأى الشجاع يطربه ، ولا تستهويه الدعوة سواء مشبوهة أو
مشبوهة ، ولو جاءت من إمام !

كم أنا حزين لصاحبي الشيخ الباقورى وهو يحتم أمجاده بالحرص على
ذيل بغلة السلطان !! ..

منجزات الاتحاد الاشتراكي

ونكتفى بهذا القدر من المنجزات !

حسم الأمور

لم أجد شعباً مسالماً ينفذ وصايا السيد المسيح كشعبنا الطيب النبيل ، فإن
من يضربنا على خدنا الأيمن ندير له فوراً خدنا الأيسر ، لا ليصفعه مرة
بل ليصفعه مرات ومرات !

ولم أر في التاريخ شعباً أحسن العالم استغلاله كالشعب المصري ، فهومن
أعماق التاريخ كان بقرة حلوباً للهكسوس الذين ظلموا مائتي سنة ينهبون
خيراته حتى أفاق الشعب من غيبوبته فطردهم بقيادة أحمس العظيم ...
ثم أصبح للرومان مصدر غذاء وطعام ، وكانت أهراء القمح في مصر
تمد روما بحاجتها منه ، واستمرت حقلاً للمستعمر الجديد مئات السنين ،
ولا أطيل في بيان استغلال الدول لنا فذلك قد سجلته كتب التاريخ من عهد
الأتراك إلى أيام الإنجليز .

ولم يقتصر الأمر على استغلالنا مادياً ، بل تجاوزه إلى استغلال إرادتنا
التي ضاعت تقريباً في كل هذه العهود ، حتى تحررنا أخيراً ولأول مرة
— بعد انتفاضة أحمس منذ عدة آلاف من السنين — بحرب أكتوبر التي
عبرنا فيها قناتنا وهزمنا عدونا على رمال سيناء ...

* * *

ولعل أبرز استغلال لإرادتنا كان في علاقتنا مع الروس ...

لقد تسللوا للسيطرة على هذه الإرادة بمظاهر عطف بدا واضحاً عندهم

رفض الغرب مدنا بالسلاح لمواجهة إسرائيل وهى تعربد فى فلسطين وتدمر البيوت والمزارع وتقتل الأبرياء من الأطفال والعجزة فى ديرياسين .

وباعونا السلاح ...

ثم خيل إلينا أن العطف قد تطور إلى حب عميق حين أسهموا فى بناء السد العالى بعد أن رفضت أمريكا تمويله وأوصت البنك الدولى بكف يده عن هذا التمويل .

وكان إسباهم فى السد العالى مفرق طريق فى علاقتنا بهذا الصديق ...
ثم انتهى عهد فى مصر وجاء عهد جديد ...

وبدأنا نسمع أن للروس فى أعناقنا ديوناً يصرون على تسديدها فى الترو والحين ...

وفيل إنهم رفضوا أن يمنحونا فترة سماح وهو تقليد يجرى بين الدول والشعوب ، وأذكر أنه كان للأمريكان عند الروس ديون ، وأنهم طلبوا فترة سماح فمنحوها ، ثم توقفوا عن السداد ثم أعلنوا إلغاء الديون ، فهى ديون حرب كان الطرفان فيها حليفتين ، وما ينبغى أن يثقل الحليف على الحليف ...!

فهل حقاً للروس فى رقابنا ديون ؟

قليل لأنها ثمن سلاح زدودنا به وهو يمثل معظم الديون ...

حسنًا ...

ولنا نحن أيضاً فى أعناقهم ديون ...

وإذا تمثلت ديوننا في ثمن السلاح وتمويل السد العالي ، فقد سدناها ،
ومال ميزان الدفع إلى جانبنا ، وهاكمو بيان الخوصوم والأصول :

* نزلنا عند رغبتهم فعينا عملاءهم من المصريين في جميع مواقع
الدعاية والإعلام ، وأصبحت الإذاعة والتليفزيون والصحف ودور النشر
الرسمية ، أصبحت جميعاً في خدمة الروس وعقيدتهم الشيوعية بما تنطوى
عليه هذه العقيدة من عداء شرس لجميع الأديان !

فبكم تقوم المحاكم الدولية هذا السلاح ؟

* فتحننا لهم الطريق إلى البحر المتوسط وهو حلم الروس منذ عهد
الفياصرة وقد حاربوا ثلاثمائة عام ليصلوا إلى هذا البحر الدافئ ، وبذلوا
في سبيل ذلك مئات الألوف من القتلى والجرحى وآلاف الملايين من
الروبلات دون جدوى ، حتى أذنا لسفهم أن تنساب إلى مياهه في طمأنينة
وسلام ..!

فبكم تقوم المحاكم الدولية هذا الصنيع ؟

* استغلوا موانينا في التموين والتدريب والاسترخاء على شواطئنا بما
يرد الصحة ويضفى على الجسم العافية ، ويملأ القلب بالسعادة من دفء الماء
والهواء والطعام الجيد المفيد ...

وحساب ذلك واضح لا يحتاج إلى تفويم ..!

* استفادوا من وجودهم العسكرى في بحارنا وبلادنا ، فنشطت
دعايتهم لعقيدتهم حتى أصبحت لهم في مصر وفي إفريقيا وفي سائر البلاد العربية
قواعد وجسور ، وشراذم تغنى على هواهم وتعمل لمخططهم على حساب
لوطن والأخلاق والدين ..!

فبكم تساوى هذه اليد فى أسواق السياسة وعند أصحاب المذاهب الذين يضحون من أجل انتشارها والروح والمال والبنين ؟

* سمعنا لهم بأن يتحدثوا باسمنا ونقضوا فى أمورنا دون الرجوع إلينا ، ففقدنا استقلالنا وعدنا أسوأ حالاً مما كنا عليه أيام الإنجليز ، وأصبح جيشنا فرقة روسية تتلقى أوامرها من موسكو حيث وليتنا الذى يقضى فى أمورنا على ما يشتهى ويريد ...

فبكم يساوى استقلال أمة هى أعرق أمة عرفها التاريخ ؟

تدخلوا فى أخص دخائلنا فمنعوا عرض فيلم (دكتور زيفاجو) من عشر سنوات ، وأرادوها مرة أخرى فى عهد السادات ، ولكن التبشيرية التى ناصبوها العداء عادت إلى العرض بحكم قضائى ، لأن فى مصر اليوم قضاء وسيادة للقانون ولم يكن فى مصر من قبل قضاء ولا قانون ... فبكم تعوض المحاكم عن مثل هذا الافتئات الصريح يقع على سيادة البلاد ؟

* قصرنا تجارتنا عليهم ، فكانوا يشترون قطننا وبصلنا وأرزنا وغير ذلك من منتجات أرضنا ومصانعنا بثمن رمزى ثم يبيعونها للغرب أحياناً بعشرة أضعاف ثمنها ...

أليس لهذا الربح الخيالى تقدير عندما يناقش الحساب بين الدائن والمدين ؟

* باعونا سلاحاً وفرضوا أن يكون سلاح دفاع ، فلما استعملناه فى الهجوم لرد اعتبارنا ، وحققنا به نصراً نادراً المثال فى التاريخ ، حرمونا

قطع غياره ، وحبسوا عنا غيره من الأساحة المتطورة ونحن في أتون المعركة ،
وكانوا بذلك أشد بأساً علينا من الأعداء ...

فكم نستحق تعويضاً عن هذا الموقف الذى لا اعرف كيف يصفه
علماء الأخلاق ؟

* ومن الديون التى يحسبونها علينا ما قدموه لطغاة الآمس من مال
ابشروا به سياتاً وسمماً وأدوات تعذيب من أسواقهم أو من الأسواق التى
تجرى فى فلکهم !..

فبكم نعوض عن ظهورنا التى ألهمتها الشياطين أو رجالنا الذين ماتوا بالسم
أو ماتوا بشتى ألوان التعذيب والعذاب ؟

صدقونى إن لنا فى عنق الروس ديناً ... عليهم ان يسددوه ...
وسوف نمنحهم فترة سماح !

* * *

ثم ماذا ؟

إنه هوان لمصر ما بعده هوان أن يجيء الفتى الصغير صاحب لينديا .
فيظن أن فى مقدوره أن يشتري إرادتها بماله (السايب) الذى يئذره على
الثافة من الأمور ...

لقد ثار القذافي لمقالات كتبها بعض الصحفيين المصريين ، وطلب فى .
خطرسة أن تنزل الدولة بهم أشد العقاب ، فلما قيل له إن كتاب مصر
أحرار وليست فى مصر رقابة على الصحف ، تهيأ لاغتيالهم وأعد لذلك
خطة كشفها السلطات المصرية وأجهضتها ، وبذلك حمت الأحرار من
زبائنته المدربين على القتل والاغتيال .

وعجبت لهذا الفتى يتعلم على أستاذ يعلم أنه خرب بلاده وافقرها ،
(م ٧ - تاريخ)

وأنة حتى رحيله قد فشل فى سياسته الداخلية والخارجية جميعاً ، ويمضى التلميذ على نهج أستاذه فيخاضهم بلاد العالم ، ويلقى بأمرال ليديا فى المؤامرات وتشجيع اللصوص والمرتزقة من كتاب وصحفيين ...

لقد هزنا انقلابه العسكرى يوم قام ، لا فرحاً فى الملك السنوسى ،
فهذا الملك صاحب رسالة رائدة لا تعرفها الأجيال الصاعدة .

إنه زعيم كافح من أجل ليديا واستقلالها وحريتها ، وقد باركت مصر جهاده يوم لجأ إليها ، ومن أرضها رتب لانتفاضته ، ولما حان الحين قاد مواطنيه وطردها إيطاليا من بلاده ، وبدأت فى عهده نهضة لا ينكرها إلا منافق أو جاحد أو موتور ...

ولم ينس الملك الزعيم لمصر يدها فساهم فى دعم جهادها بمال بلاده ،
كما دعم سوريا والأردن زميلتها فى السلاح .

إن هذا الموقف من الملك الزعيم يؤرق الوارث السفیه الذى توهم أن
مصر فى المزاد ، فاذا « أم الدنيا » تتعالى على أحلام القردة والأفزام ! ...

لقد كان فى ظننا أن الانقلاب العسكرى فى ليديا مفروق طريق فى كفاح
العرب ، فاذا صاحبه يبدأ جهاده بثورة ضد مصر وهى تمتاز أحلك الأيام .

بما كنا نظن أن انقلاب القذافى سينشئ هذا السجن الكبير ليعيش
فيه الليديون معتقلين ، أو يفتح صدره لكل هذه الآثام يرتكبها أعوانه
رحواريوه ، فلا يشرب الخمر وينهب أموال الشعب ويطير بها إلى لندن
ليبددها على موائد القمار فى (البلاى بوى) ويبندها فى بيوت الفاحشة
إلا أولئك الذين زعموا أنهم قاموا بانقلاب للقضاء على الفساد ورد أموال

الشعب للشعب ، وتحريم الخمر كما تقضى بذلك تعاليم الإسلام ! ؟ ...
 إن كل هذه الموبقات التي يعف القلم عن الدخول في تفاصيلها ترتكب
 وعين العقيد عنها كليلة أو قصيرة أو عمياء ...
 إن القى منصرف إلى بناء مجده ونشر سلطانه على البلاد والعباد ...
 إن المسكين يزرع في أرض أكلتها الأملاح ... ويشيد أعجاذاً على
 برمال ... ويقم تماثيل من جليد ما إن تطلع الشمس حتى تنهار ...
 وعجبت لنا نحن المصريين ، كيف صبرنا على هوس هذا القى
 غروره ، فزرنه واستقبلناه ثم أخذناه على حجرنا ودللناه ، وحشدنا له
 أصحاب الرأي ليجادلهم فيما يجب أن يكون عليه حالنا ، وما كان له أن
 سمع - حالماً - بلقاء أو محاجة واحد من هؤلاء ؟
 ثم سكتنا عنه حين بدأت إذاعته وأحاديثه النافذة تشكك في جيشنا
 وبطلواته ، ثم تطرقت إلى شعبنا وزعيمه وأفدعت فيما روت وقالت ،
 وتمثلنا نحن بحكمة الشاعر وهو يتحدث عن الكرام الذين لا يردون على
 لئيمه وقبح ما يقول ، فيزيد سفاهة ونزید نحن رنداً وطيباً ؟ ...
 وهكذا ترتب على موقفنا اللين الطرى في معالجة هذا الوارث السعیه
 أن تبادى قول مؤامرة الثانوية الفنية ، وأعلن الجهاد المقدس ضد أمن مصر
 فسعى إلى التخريب من تحريق وتوزيع لمنشورات الضلال .
 إلى متى تنفذ مصر وحدها وصايا السيد المسيح ؟ ...
 إننا - حتى اليوم - لا نريد أن نكون جادين في أمر هذا العقيد .
 وإننا لنلهو ونعبث بالأسماء والمسميات ...

ما هذه الوحدة التي يحكون عنها ويقولون إنها رباط الزمن ، وإنه
القدر المقدر على مصر وليبيا ؟
من قال إنها مسيرة نحو اتحاد العرب ، ومدخل صدق إلى وحدة بين
جميع الرفاق .

وهل تقوم شركة بين عاقل ومجنون ؟
إذا شئت الوحدة ، فهي مع المجانين تقوم بحد السيف ، وإلا فلتذهب
الوحدة إلى الشيطان ...

وكيف ونحن ندعى لأنفسنا العقل والاتزان ، نسمح مع السباب
والمؤامرات بشيء اسمه مجلس الاتحاد أو وزارة اتحادية أو غير ذلك من
الأسماء والمسميات ، ثم نحتفل كل عام بيوم عرس يقام في كنف الغدو
والخيانة وسوء الأدب وقلة الحياء .

إن بلادنا في حاجة إلى كل ملهم يصرف على هذه المظاهر الفارغة
والتي تسخر منها النخبة كما يسخر منها عامة الناس .

أرأيتم هذا الفندق العظيم في قلب مصر الجديدة وقد حولوه إلى مكاتب
ترفيه لوزراء دولة وهمية يختلف إليه هؤلاء الوزراء بين يوم وآخر
ليسمروا وينكتوا ويتفكهوا وهم يتناولون القهوة والشاي.. ثم يقبلون أول
كل شهر ليقبضوا من عرق الفلاحين والعمال رواتبهم ونصفها من حبر
العملات ؟

وإنه لراتب ضئيل يتقاضاه الوزير ... بضع مئات من الجنيهات غير
ما رصد له من مخصصات ؟ ...

لأنهم لجديرون بهذا الراتب ، فقد جاهدوا لتحقيق الوحدة بين مصر
ليبيا حتى أثمرت كل هذا البلاء؟! ...
إننا لا نحسم أمراً ...

فلنكن جادين مرة ، ونلغى هذا المجلس ونسرح هؤلاء الوزراء ،
ونطرد بور التآمر من بلادنا ، ونسحب مهندسينا ومعلمينا وأطبائنا وعملانا
ليسكن القذافي الخيام ويعود إلى وضعه الصحيح ، الذي سيعود إليه حتماً
يوم يحف النفط وتخلو خزائنه من المال الذي كان يجب أن يوظفه في
صناعات تعين الشعب الليبي الطيب النبيل المغلوب على أمره في أيام قحط
صعبة ، ولا يمكن مواجعتها بغير العلم والبناء والتعمير .

✽ * ✽

ثم ماذا؟

إن من حسم الأمور أن نرفض بشدة التدخل في شئوننا من جانب
الفدائيين الفلسطينيين ، فإن مصر مارد لا يقبل وصاية من أحد ، وقد
رفض ذلك من قبل سواء وصاية الروس أو الأمريكان ...

كيف تسير الشراذم في دمشق وبيروت تهتف بسقوط البلد الذي بغيره
لن تعود أرض لأحد ، ولن ترد كرامة لإنسان سواء في القدس أو في
الجلولان ؟ ...

إن كارثة فلسطين يسأل عنها بعض آباء وأجداد هؤلاء الفدائيين الذين
باعوا الآلاف من الدنم (الفدادين) لليهود وبذر بعضهم ثمنها في تل أبيب !
لقد دعر مصطفى النحاس حين كان يلي الحكم في الأربعينات لما
هرأى اليهود يسعون بحماس، لتهويد أرض فلسطين ، فدعا إلى تأليف هيئة

عربية تشتري هذه الأراضي من أصحابها حتى يحتفظ على فلسطين أراضيها ولا تباع للوكالة اليهودية بأبخس الأثمان ...

ولم ياب العرب للأسف الشديد دعوة النحاس ، فامند سلطان اليهود على قدر كبير من اتراب البلد الشقيق ، وباع الآباء والأجداد أراضيهم ، وهاجر معظمهم إلى بيروت وتلبنوا ، وأصبحوا من كبار التجار وأعلام السياسة ، وتولوا الوظائف العامة ، وشغلوا منصب الوزير بل منصب رئيس الوزراء ، وانقطعت صلتهم بوطنهم الأصيل ...

ومضت الوكالة اليهودية تشتري أرض فلسطين . . .

ومضى الأثرياء يبيعون أرضهم لليهود . . .

رقلدهم صغار الفلاحين . . .

وسعت مصر من قبل لاستقلال فلسطين ، وراحت إلى لندن في سنة ١٩٣٦

وجاست حول مائدة مستديرة ، وحاولت أن تأخذ فلسطين من الإنجليز للفلسطينيين . . .

وقال اليهود إنها بلادنا منذ هاجر إليها من مصر نبينا موسى ، وقد جاء

ذلك في كتبنا منزلة وسووعة . . .

ثم قالوا واشتريناها بأموالنا . . .

وثار الفقراء الباقون في أرضهم .

وعرض على الطرفين تقسيم فلسطين . . . وكان التقسيم يعطى اليهود

شريطا صغيرا من الأرض ، ويعطى أهل البلاد جل فلسطين . . .

وتحكم الحوى . . .

- ١٠٣ -

وانطلقت الشعارات ...

واشتدت المزايدات ...

سيطر العناد ...

واستعد اليهود ليوم خروج الإنجليز من فلسطين ! ...

وخرج الإنجليز في ١٥ مايو ١٩٤٨ ...

ودخلت مصر الحرب ضد العصابات الصهيونية ! ...

وخسرنا الحرب بالخيانة ...

وأى خيانة ؟ ...

كانت الخيانة من رفاق السلاح ...

وكانت الخيانة فى الطريق إلى القتال ...

كان المفروض أن يقفوا إلى جانبنا ونحن نجاهد من أجل فلسطين ، فامتنعت

العراق عن الحرب ، وقال قئدهم فى الميدان ... ماكو أوامر ؟ ...

يعنى ليست لديه أوامر للقتال ؟ ...

وتوقفت جهة أخرى عن النضال فجأة وسامت «اللد» ومطارها لليهود .

وانكشف بذلك جناح المصريين ، وحوصروا فى «الفالوجة» عدة شهور

وكافحوا فى معركة الحصار حتى أنهم كوا العدو ليخرج جنودنا شاكي

السلاح لا جنوداً مأسورين ...

وفى الطريق ، كان الإخوة العرب من الأعراب يبيعون جنودنا

وضباطنا للعدو ... للجندى ثمن وللضابط ثمن آخر ...

- ١٠٤ -

وفي الطريق ، هاجمنا الإخوة العرب من الأعراب وسرقونا !
وفي الطريق ، قايس الإخوة العرب من الأعراب . . . بجرعة الماء
ساعة اليد أو ما يحمل الجنود من مال أو سلاح أو لباس ! ..

وكانت النتيجة أن ساقونا من أقيمتنا إلى رودس حيث وقعنا وثيقة الهدنة ،
وقعها المصريون الذين هزمهم الخيانة ، ووقعها الخونة الآخرون من زعماء
العرب أصحاب المزايدات والشعارات ...

وقالت مصر سوف تسترد فلسطين .

ودخلت مصر الحرب مرتين دون استعداد وبجهل ، فانهزمت في ١٩٥٦
وفي ١٩٦٧ وضاعت أراضيها كما ضاعت أرض فلسطين ! ...

وأصرت مصر على النصر ، وانتصرت في أكتوبر ١٩٧٣ ،
هذا أصل القضية التي لا يعرفها الجيل الصاعد من أبنائنا ، وقد
لا يعرفها كثير من الفدائيين .

إن مصر قد تعهدت في أريحية الأحرار أن تسترد للفلسطينيين أرضهم ،
وقد ضحيت في سبيل ذلك بعشرات الألوف من زهرة شبابها ، واستدانت
أكثر من عشرة آلاف مليون جنيه لشراء سلاح تحرر به أرض فلسطين ..
إن مصر عند كلمتها تطالب دولة لأهل فلسطين ، تطلبها بالسلام ،
فإن عجزت عن ذلك فبالحرب مرة خامسة حتى المرة السبعين ...

ولكن مهلا ..

نحن لا ندلل الرافضين ...

- ١٠٥ -

لقد هلكنا من أجل فلسطين ...

لقد انهار اقتصادنا من أجل فلسطين ...

لقد قبلنا السجن والتعذيب وخراب البيوت حتى لا نفسد حجة طغائنا
أصحاب الشعارات وهم يتاجرون بقضية فلسطين ...

فإذا يريد منا الفلسطينيون ؟

إن عقلاءهم يعلمون علم اليقين أن مصر إن نقضت يدها من أمورهم
خضعت فلسطين ، وهي ترعاهم كما ترعى بنينا ، فليتقوا الله فيها ...
إنها الأم الرعوم التي أطعمت أولادها وجاعت ، وكستهم وتعرت ،
هو أغنتهم ومدت يدها بالسؤال .

حذار من غضبة الأم ... فإن اللجنة تحت أقدام الأمهات ...

الناصرية دين ودنيا

من منطق التقليد للماركسية نسبة لماركس أشاع الأستاذ محمد حسين هيكل لفظ الناصرية نسبة إلى عبد الناصر ؟

ودون تفكير بأن ماركس الذى نسبت إليه الشيوعية ، لم يكن حاكماً بل كان صاحب فكرة ، وأن عبد الناصر كان حاكماً وصاحب دولة وليست له فكرة معينة ثابتة ، فإن هيكلًا وهو يتحمل نصف المسؤولية في التجربة يصير على أن هناك شيئاً اسمه الناصرية ..

إن لماركس كتاباً مقدساً على هديه قام النظام الشيوعى ، وعبد الناصر له أكثر من كتاب قامت عليه الناصرية .. له فلسفة الثورة ، وهو يشبه كفاحي لختلر ، وله الميثاق ، وله بيان مارس ، فهو من حيث المبادئ والأفكار يرى هيكل أنه أثرى إنتاجاً من ماركس وما كتب .

ولما كانت بصمات هيكل واضحة في كل هذه الكتب المقدسة!.. فإنه لا بد أن يدافع عنها ويزعم لصاحبها ما زعم الشيوعيون لماركس ، وأن يكون لعبد الناصر مذهب يستظل به هيكل ومن أفاد من التجربة ، وأنه وإن رحل عبد الناصر فإن الناصرية باقية ، وهو - أى هيكل - الوريث الشرعى لها ، وعليه أن يؤكد هذا المذهب في ضمير المصريين حتى يصبح ديناً ينافس سائر الأديان ، وصاحبه إلهاً يعبد من دون الله ..

هكذا فكر هيكل ، ونستعيد بالله مما فكر فيه الرجل ومما دعا إليه ...
ووضع هيكل ساقاً على ساق .. وأطلق دخان السيجار الفخم من فمه الذى يقطر سحراً ...

وإن من البيان لسجرا ...

أطلق أحكاماً في الأشياء والناس ليثبت لمطر (١) أن الناصرية ضربت في الكون ، أصولها ثابتة في أعماق الأرض ولا يستطيع أن يتناول إليها أحد وقد بلغت فروعها عنان السماء !؟ ...

يتحدث هيكل عن اليمين في مصر فيقول إنه « شرادم » متهاكة تريد أن تعود إلى الحياة بعد عبد الناصر دون أن تتعلم من تجربته شيئاً ! ...

ويتحدث عن اليسار فيرى أنه حل نفسه وانتهى ! ... ولم يبق إلا الناصرية يدعمها ثلاثة ملايين عامل ، ونصف مليون من طلاب الجامعات .

ويرى هيكل أن الناصرية مارد شامخ لم يهتز قط ، لا في أيام صاحبها ولا بعد أن رحل ...

ونأخذ هيكلًا من يده ونذهب به إلى جريدة الأهرام في مبناها القديم سنة ١٩٦٨ ونقفز معه درج الجريدة إلى سطح ذلك البناء العتيق ... فإذا هيكل يصفر وجهه وترتعش يداه ...

إن هيكلًا يرى معنا الآلاف المؤلفة من العمال والطلبة ويسمعهم يهتفون ضد النظام وضد صاحبه وضد مراكز قواه ، ويفتنون في النداءات والاهتافات ، ويطلبون فيما يطلبون من الجبان ، أن يتعلم من عدوه موشى ديسان ! ...

ونجرب مع هيكل لنحتمي في حجرة من البناء العتيق ، فقد أخذ العمال

والطلبة يقذفون الأهرام بالحجارة ويحاولون حرق البناء ، ليقتضوا — كما كانت تقول هتافاتهم — على بؤرة الدعاية والتضليل والإفساد ...!

هكذا كانوا يهتفون ، وليست الصياغة من عندي ، فقد كانت هتافات العمال والطلبة تهدر على مسمع منا ، ويزغرد لها النسوة من تحالف قوى الشعب ، تأييداً للملايين الثلاثة من العمال ونصف المليون من الطلاب ... ويمضى هيكل مع مطر ويصدر الأحكام ...

ونحن نعلم أن التنظيم الطبيعي كان أداة النظام وسوطه عند اللزوم ، وكان المال وكانت السلطة ملك يديه .

ويقول عنه هيكل إنه تنظيم تافه ما إن نفخ فيه حتى طار ...!

هذه أدوات الناصرية ما إن ينفخ فيها حتى تطير ...

ولكنه يقول إنه يهددين ودنيا ... والدين في القلوب والدنيا لا تزول ...

أرأيتم النظام الذي يحكمنا ؟ يقول هيكل إنه امتداد لعبد الناصر ووثيقة حية على أن الناصرية تصول وتجول ؟

ولا يرى هيكل أن الناصرية بعد رحيل صاحبها أخذت تترنح وتهوى وتضول ، وأن شرعيتها قد أنهتها حرب أكتوبر ووارتها التراب في صمت ودون ضجيج

لقد فصلت هذه الحرب بين عهدين ، ولعلها فكت الاشتباك بين السواد والبياض ، بين الظلام والنور ، بين الفوضى والاستقرار ، بين المشعرات والبطولات ، بين القبيح والصحيح ...

الناصرية في مصر لا وجود لها ...

الناصرية باقية فقط في المقالات التي ينشرها هيكل في بيروت على صفحات النهار والأنوار ، وينشرها المأجورون من عملاء القذافي في صحفهم الصفراء التي تعيش على الكذب والافتراء .

نحن لا نؤمن بالناصرية بل نؤمن بثورة يوليو وهي وحدها التي تحكم خطانا وتنير لنا الطريق ...

ويقول هيكل لمطر إن الناصرية عند العرب حلم جميل ، وعند بعض المصريين واقع ثقيل ، لما نال هذا البعض من متاعب التحول الاجتماعي وغير ذلك من عبارات الاعتذار التي لا تسمح اذكريات لانزال نخم آلامها ، فإن آلامها لا تغيض ...

الناصرية لها في كل بيت مأتم لا تجف أحزانه ، وهي أحزان أقوى من موت حبيب ، فإن موت الحبيب تخف آلام فراقه على مر السنين !
ويقول هيكل لمطر إن التجربة أصبحت في ضمير كل مصري ، وإن عذاباتها تجيء على هامشها ...

إنه عاش نعيم التجربة وعاش الشعب جحيماً ، فالتجربة كانت هذا الظلم ... كانت كل ما حكيناه في هذا الكتاب ، وكل ما ذكرته الصحف والمقالات

ويقول لنا هيكل ، إذا لم يكن عبد الناصر ضمير هذا الشعب فكيف خرج خمسة ملايين يودعونه إلى مقره الأخير ؟

إن الملايين الخمسة التي خرجت تودع عبد الناصر ، وهو رقم مبالغ فيه ! لم تكن تعلم أنها تودع السجون والمعقلات ، وتودع القتل بالسهم

والرصاص ، وتودع مراكز القوى التي أثرت من دم الشعب ، وعاشت
فى الترف والشعب يموت من الجوع ، وتودع الهزيمة ... أشنع هزيمة
مرت بتاريخ البلاد ، وتودع الفساد الذى استشرى فى كل منزل وناد ...

إن زميلنا النابه يجافى الحق والتاريخ حين يقول « إن النظام الناصرى هو
الذى صنع أكتوبر ١٩٧٣ وهى حقيقة لا جدال فيها » ثم يقول « وكل
الشوائب التى جاءت بعد العبور تتعلق بأن التجربة — يقصد النظام الناصرى —
لم تساهم فى العبور » ؟

هل فهمتم ؟ ...

إن النظام الناصرى صنع مجد أكتوبر وعبر ... وإذا كانت هناك
شوائب جاءت بعد العبور ، فلأن النظام الناصرى لم يكن له نصيب فى هذا
العبور ؟ ! ...

كلام يناقض أوله آخره ...

مالكم وحرب أكتوبر .. إن حرب أكتوبر انتصار ...

إن لكم حرب ١٩٦٧ وهى تاريخكم الذى ختمتم به تجربتكم ...

إن حربكم هى الهزيمة ... وهى الخزى والعار ...

لقد حاربتم فى سنتكم تلك بجيش حطمته المواجه ، وفى مظلة من
الجوع والحرمان ، وتحت قيادة أفسدها الدلال ...

حاربتم بجيش لا يعرف القتال ولا يجيد إلا الخيلاء والاختيال ...

حاربتم بجيش وزعت قيادته على جنوده قبل القتال صور الغانيات من
المطربات والممثلات لتدعم معنوياته حين يجد الجلد ويشد القراع والنزال !

أما في أكتوبر فقد واجه جيش مصر عدوه وظهره إلى بلد بدأت
تُهدم فيه السجون والمعتقلات ...

في أكتوبر خف إلى الميدان جيش من الأحرار ، كان ينقد وهو يسمر ،
ويبدى الرأي ولا يخاف الفجر من زوار المباحث والمخابرات ، ويطلق
النكتة ولا يتوقع التعذيب بعد الاعتقال ...

كانت هناك أسباب جدية بأن يحارب من أجلها أولادنا الأبطال ...
كانوا جادين في محو ما خلفته تجربتكم لمصر من عار ...

لم يحملوا في أيديهم إلا السلاح ، وإيمانهم ببلادهم ، وصرخاتهم
الدوية باسم الواحد الأحد .

الله أكبر الله أكبر

أعرفتم أسباب فك الارتباط بين تجربة الناصريه ، وتجربة القوة
والشجاعة والعلم والأخلاق ؟ ...

الله وحده كان قبلتهم ، والمصرية وحدها كانت مناهم ، ولم تكن
الناصرية في ضميرهم ولا في يقينهم ، ولم يكن لها في قلوبهم أى اعتبار !

أما « الشوائب » التى جاءت بعد العبور ، فهى فى خيلة الزميل هيكمل
رحده ، لأن مصر جنت من النصر انسحاباً للعدو بعد انسحاب ، وتفتحاً
فى ميادين السياسة والاقتصاد ، وهى فى انتظار مزيد من هذا الانفتاح ...

إن مصر ترى فى هذه « الشوائب » ضماناً لحاضر سعيد ومستقبل
مأمول ، وعدالة ترفرف على جميع المواطنين ولا تحيد عن الطريق ...

إن هذه « الشوائب » دفعت المصريين إلى التكاثر والجهد بالعقل

والقلب للتحرر من الحاجة والسؤال ، ودفعهم إلى العمل المضني والمثمر
في أعطاف الحب الذي افتقده بناء مصر من عمال وفلاحين ومثقفين ...
فتقدوه في تجربتكم التي جثمت على نفوسهم دهرًا طال سنين وسنين ...
إن هيكلًا يقول إنه يتطلع إلى كل مكان في مصر فلا يرى إلا
وجه عبد الناصر ...

ونحن نتطلع إلى كل مكان في مصر فلا ترى إلا وجه مصر ...
إن هيكلًا يطلب إلينا أن نناقش التجربة الناصرية « بموضوعية
وأخلاق » !

وهل هذا الحوار الذي أجراه هيكل مع مطر كانت مناقشة تخضع
للموضوعية والأخلاق ؟

هل من الموضوعية أن يطلب مناهيكل أن نؤمن بأن من هُز منّا تحت
رايته في حياته هو الذي قاد النصر في أكتوبر من مثواه الرفيع ؟
وهل من الأخلاق أن نوافق هيكلًا على أن السادات ظل لعبد الناصر ؟
وهو الرجل الذي أغلق السجون التي فتحها عبد الناصر ، وداوى جراح
كل من آذاهم نظام عبد الناصر ، وصنع النصر بشجاعة وإيمان لم تعرفهم ؟
قط تجربة عبد الناصر ؟

وهل من الموضوعية أن يحدثنا هيكل عن حرب السويس سنة ١٩٥٦
فيزعم أنها انتصار ، وهو يعلم قبل أن يعلم العالم كله أنها كانت
مغامرة فاشلة ، وهزيمة منكرة ؟ ...

هل من الموضوعية أن يقول هيكل إن الوحدة العربية لم تتحقق إلا
على يدي عبد الناصر ؟ ...

هل توحدت البلاد العربية بحرب اليمن ؟
هل توحدت البلاد العربية بانتف ذقون أعلام العرب ؟
هل توحدت البلاد العربية بسب أمهات الملوك والرؤساء العرب ؟

وهل من الموضوعية أن يزعم الزميل هيكل أنه نقد القطاع العام وأبرز عيوبه ، وثار على فضائحه ونحازيه ، وهو يعلم أن شيئاً من هذا لم يحدث لامن قلمة ولا من أقلام زملائه في الأهرام ...

لقد كانت هناك عشرات الجرائم ترتكب في القطاع العام وقد طلب النائب العام في ذلك الزمان وهو المستشار محمد عبدالسلام ، محاكمة وزراء ورؤساء مؤسسات ومديرى شركات ، وأوضح لأصحاب النظام مدى الفساد الذى عم البلاد ، وتقدم بذلك كله مدعماً بأكثر من وثيقة ودليل ...

وصرخ الرجل وراحت صرخاته فى الهواء ...

ثم نقل الرجل حين أصر على متابعة الجريمة والفساد

ثم فصل الرجل مع من فصل عقاباً له على تعقب المجرمين فى كل مكان ...

هل كتب هيكل فى واحدة من هذه الجرائم وعرض تفاصيلها على المواطنين الذين لم يعلموا عنها شيئاً حتى تضمنها كتاب النائب العام الذى نشر منذ شهور أو منذ عام ؟

وما أظن هذا الذى يدعيه صاحبنا هيكل يتفق مع الموضوعية والأخلاق ! ...

ان زميلنا هيكل لا يرفض أن يجيب على الأستاذ مطر عن رأيه فيما تكتبه الصحافة

المصرية نقداً للتجربة ، لأنه لا يريد الدخول « فى الذى يكتب فى مصر
عن هذا الموضوع » ! .

فلمن يكتب هيكى ويحاور ؟

إنه يكتب هناك ، فى بيروت ، ما يشاء ، فليس هناك واحد يناقشه
الحساب ، أو أقل ليس هناك من يعنيه الأمر ، لأن التجربة الناصرية ،
فى الأصل مصرية ، وهم نحو أربعين مليوناً من المصريين ، ولا تعنى
فى شىء إخواننا اللبنانيين . . .

إن فى ذلك هروباً من المسؤولية التى أخذها على نفسه فقيه الفكر
الناصرى ووارثه والمجاهد فى سبيله . . .

إن الجهاد فى سبيل الناصرية ، يقتضى منه أن يركب فرسه وينازل
خصومه هنا فى مواقع النزال ! ...

لقد كان وحده يركب جواده ثمانية عشر عاماً ! ...

لقد كان وحده يكتب ، فإن عارضه معارض فتحت لهذا المعارض
السجون والمعتقلات ...

إن هيكلاً يعلم - موضوعياً وأخلاقياً - أن حواراً فى مصر شىء
يختلف عن حوار مع مطر حيث يتناوله وهو مسترخ هناك ينفث
دخان سيجاره فى الهواء ؟ ! ...

إن الحوار فى مصر سيكلفه العرق والدموع ، وهيكى على ما اعتقد
يقيم دائماً فى مكان مكيف الهواء لا يعرق فيه المنعمون ، وهو عصى
الدمع ، فالتجربة بالنسبة له أبعد ما تكون عن الحزن والألم ، وهما
من المآسى التى من أجلها تسفك الدموع ! ...

- ١١٦ -

ثم يقول هيكل إن عبد الناصر أوصى لمصر بتركة ضخمة من أعماله وأقواله ، فإذا مصر تنوء بحمل هذه التركة المثقلة بالشجون والديون ... وكان الله في عون مصر ... الوريثة الشقية التي ما إن تفيق من إرث حتى يفجعها إرث جديد .. والله لها فيما حط عليها من موارث ، وما ناله من أصحاب هذه الموارث ؟ ...

جاء في الأثر :

ولا تعلموا أولاد السفلة العلم

منذ شهرين قرأت في الصحف إعلاناً عن كتاب بعنوان (عبد الناصر
المفتري عليه) .

ومن غرابة اسم المؤلف حكمت بأنه لابد أن يكون لبنانياً عن موطنه
القذافي لنشر كتب تسبب أحرار المصريين ، وتقذفهم باتهامات لا أول لها
ولا آخر ، وهي كل ما يملكه القذافيون من ذخيرة في مجادلة من ينتقدون
النظام الناصري الذين أبدعوا وأجادوا في كشف عوراته في كتب ومقالات
لا يرقى إليها الشك ولا يأتيها الباطل من يسار أو يمين ...

ومضيت أقرأ الكتاب مصطدماً بين آن وآخر بأخطاء نحوية لا تفوت
تلاميذ المدارس الابتدائية ، ومصطدماً بخلل عجيب في سياق الحديث ،
ثم أقرأ آراء لهذا الفتى الذى يدافع عن عبد الناصر ، فإذا هى تهوى
بالرجل ونظامه إلى أسفل سافلين ! ...

وعجبت لهذا الفتى اللببى وحيرتني أفكاره ، حتى عثرت على سطور
في كتابه ذكر فيها الشيزوفرينيا - أى انفصام الشخصية - وعندئذ خرجت
من الحيرة وفرغت من التعجب ، فلا شك أن ذلك الشاب اللببى يتناول
كثيراً من المعلبات ويقصر غذاءه عليها . فقد حدثنا علماء النفس أن انفصام
الشخصية ينتج في ظروف كثيرة من الإسراف في تناول المعلبات !؟ ...

ومضيت أقرأ الكتاب فهو متعة في (الدش) والتناقضات ، ولم أغضب
من الألفاظ السوقية التى جادل بها من زعم أنهم المفترون على عبد الناصر ،

فليس لدى هذه المدرسة الناصرية القذافية إلا الشتم والسباب ، وليس في جعبتها من العلم والمعرفة والدراسة الموثقة العميقة ما يؤهلها للمناقشة الجادة الرصينة فهي معذورة إن تحصنت وراء القذف والسباب !

ومضيت أقرأ الكتاب ... وكانت مفاجأة لي حين وضح من سياق الحديث أن مؤلفه صحفي مصري انطوى على حقد دفن للاتحاد الاشتراكي الذي نقله من صحيفته إلى وظيفة أخرى لم يكن عنها راضياً ، وفي ذلك كتب وأفاض .

وكنت وأنا أقرأ الكتاب ، أبارك للحكومتنا هذه الحرية التي سمحت بها للبناني أن يسب نخبة من المصريين في ألفاظ يعاقب عليها القانون ، ولكن بعد أن عرفت أن المؤلف صحفي مصري ساورني الشك في أن الحكومة سمحت لأموال القذافي بأن تدخل البلاد ...

سب المؤلف عشرات من الناس ، وغمز المسؤولين ولم يذكر القذافي بكلمة سوء ، مع أن العقيد — يوم صدر هذا الكتاب — كان قد بلغ قمة السفه في مهاجمة مصر وجيشها ورئيسها ، وتقياً من العبارات الوقحة السوقية ما كان يجب على هذا الصحفي أن ينبري لها بما عنده من حصيلة لا تقل سوقية ووقاحة عما عند القذافي وألسنته الحداد ، وهو بما فطر عليه لن يلقى عناء في مواجهتها ، وقد زوده القدر بسلطة يحسد عليها ويمكن أن يستفاد بها في مثل هذه الظروف والمناسبات ! ...

فهل وراء سكوته من خبيء ؟ ...

لم يهز شعرة فينا كل ما كتبه عنا المرتزقة اللبنانيون والشيوخيون ،

فنحن نعلم من أين يمولون ، ونعلم أن ذلك التمويل يجيء مرة من غربي لبنان حيث يغدق القذافي بملايين الجنيهات على محرري الصحف والكتب اللبنانية الصفراء ، ويجيء التمويل مرة أخرى من شرقي لبنان حيث تدعم الماركسية عملاءها بسخاء .

لم نهتم بعملاء القذافي لأن صحفهم وكتبهم فارغة قليلة الرواج ... ولم نهتم بعملاء الشيوعية وكلامهم أحاج وفوازير ، فقد هاجمونا مدعين أننا أعداء الثورة والوحدة وأنهم جاءوا «ليشجبوا المفاهيم التصفية» ويعلمونا أن «فهم المشاجيب الجبهوية وتكريس الأطروحة الوجودية الشقيقة تحقق الوحدة النضالية» .

وهذا بالطبع كلام واضح ومفهوم ؟! ...

وقد نصحت بأن أهمل نقد كتاب (عبد الناصر المفترى عليه) وأن أضمه ترفعاً إلى كتب وصحف بيروت التي أغفلت الرد عليها بيمينها ويسارها غير أن الكتاب صدر في مصر ، وربما يقع مصادفة في يد أحد فيظن بنا الظنون ، ونحن لم نعرض برفق لتجربتنا الثورية في كتابينا (رسائل من نفاقستان والوسواس الخناس) لنفاجأ بنقد لهما لحمته الكذب وسداه القحة وسوء الأدب .

ونحن لا نرد على الكتاب لأهمية كاتبه أو أهمية مضمونه وإنما نعلق عليه لأنه مجموعة من الادعاءات والافتراءات على أهل اليمين يرددها « أبناء العم » من شيوعيين وناصرين وقذافيين ، في مصر وفي بيروت ، ومن واجبتنا وقد وقع في يدنا هذا السجل الحافل بالكاذب أن نرد على « أبناء العم »

مجتمعين في هذا الكتاب الذى نزلت فيه قلوبهم بألوان من الحقد والكذب والاختلاق والتضليل .

وأول ما لفت النظر في هذا الصغار أن المؤلف زعم أن « الأحقاد الشخصية » أملت علينا ما كتبنا في نظام عبد الناصر .

ولا أدري دوافع هذه الأحقاد الشخصية ؟ إننى لم ألتق قط بالرئيس الراحل ، ولم أره إلا في الصحف والتلفزيون ، ولم أتعامل معه لا في وظيفة أو وزارة أو صحيفة من صحفه ، ولم أكن يوماً عضواً في اللجنة المركزية لأجتمع به أو عضواً في مجلس الأمة لأسعد بلقائه ، ولم تربطنا به قرابة أو صلات نسب أو معرفة حتى ترسب في نفوسنا الأحقاد الشخصية ؟ ..

وهذا أول كتاب يفتقد فيه القارئ أمانة المؤلف فيما كتب أو نقل ، فإنه ينقل ما كتبناه نقل من غيبته الحشيشة فيذكر أول الآية « ولا تقربوا الصلاة ... » ويغيب عن آخرها ... « وأنتم سكارى » .

يقول إننا : « ضد الثورة صراحة في كل ما اتخذته » وقوله هذا افتراء علينا ، والصحيح أننى لم أرض عن كل ما صنعتته الثورة ومثلى في هذا رأى مئات الألوف ولا أقول الملايين ، غير أن هناك ما أرضانى وقد ذكرته في معرض الرسائل التى تضمنها كتابى رسائل من نفاقستان (١) .

ويتظرف الكاتب ثم يتعالى وهو يعرض لرأينا في تقرير ضرائب تصاعدية على أصحاب الأرض بدلاً من مصادرة أراضيهم إلى أن يوزعوا

هذه الأرض خلال عشرة أعوام بالبيع أو الهبة، وهو رأى كان يراه بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة ، والحكومة الأولى التى جاءت بها الثورة ، وقطاع عريض من الرأى العام فى بلادنا .

وقد عاب علينا المؤلف أننا نقدنا فى كتابنا الأول مصادرة أراضي المجاهدين الأحرار ولم نقدم له « نماذج » هؤلاء الأحرار المجاهدين .

لقد كان كتاب (رسائل من نفاستان) أدباً رمزياً لم يذكر فيه اسم إنسان ، لذلك لم نصصح عن اسم واحد من هؤلاء المجاهدين الأحرار الذين حصلوا على الأرض والمال بعرق الجبين .

أما اليوم والملفات تفتح فى حرية وحرارة ، فانى أقدم بعض الأمثلة لهؤلاء الأحرار الذين سرقوا أراضيهم وأموالهم ، فأذكر للمؤلف ولغيره من المخدوعين أن محمد حسن العبد قد صادروا له ألف فدان وهو مقاول عصامى بدأ حياته عامل بناء صغير يقف على « السقالة » وجه النهار فى قر الشتاء وحمارة القيظ ، ومن عرق جبينه اشترى هذا القدر من الأطنان ...

ومثله عبد العزيز رضوان وقد بدأ حياته حمالاً فى إحدى محطات السكك الحديدية ، واقتنى بعرق الجبين الأراضى والأملك ...

ونذكر من بين المجاهدين الأحرار عماد نايف ، وقيل إنه بدأ حياته حمالاً أيضاً ، وجاهد وعرق حتى كانت له مصانع للزيوت والصابون ، وبنى من كده وجهده مستشفى فى طنطا لخدمة مواطنيه وهو من أعظم المشافى فى البلاد ، وقد خرج من مصر إلى بيروت خالى الوفاض به مصادرة كل ما يملك من أرض وبيوت ومصانع ، وهناك فى بيروت

ومن عرق الجبين أيضاً - أنشأ مصانع مماثلة لما كان يملكها في مصر ، ومن معاينة القدر أننا نستورد لمصر من مصانعه في بيروت أشياء وأشياء ؟! ...

وليدهب الفتى المؤلف إلى أضاير المصادرات والحراسات فسوف يجد مئات الأسماء بل الآلاف قد أودوا في أرزاقهم وهم العصاميون الأحرار الذين بدعوا من القاع وبسط الله لهم الرزق بلا حساب ، فأصبحت لهم أراض لم يسرقوها ، وتعتبر مصادرتها عملاً لا يقره عرف ولا دين .

إن الله يغفر الذنوب جميعاً إلا الشرك به والإضرار بالناس ..

ويتساءل الكاتب أين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تؤثم رجال الثورة وهم يصادرون أراضي أحرار الناس ؟

ونقدم للكاتب السئيل حكم الله سبحانه فيما فعل الثوار ، فقد قال في كتابه العزيز : (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلّوا بها إلى الحكّام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون) (سورة البقرة : ١٨٨) .

ثم قال : (يا أيّها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) (سورة النساء : ٢٩) .

ثم قال : (إنّ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنّهم يأكلون في بطونهم نارا وسيصلّون سعيراً) (سورة : النساء : ١٠) .

ثم قال : (وأكلهم أموال الناس بالباطل) (سورة النساء : ١٦١) .

وهناك عشرات الآيات البيّنات التي تلقم المؤلف وأمثاله ألف حجر حين يزعم أن الدين دعا إلى سرقة الناس وأكل أموالهم بالباطل ...

وفي الحديث النبوي الشريف يقول صلوات الله عليه : (من اقتطع شبراً من الأرض ظلماً طوقه الله إياه يوم القيامة من سبع أرضين) (مسلم : ١٦١) .

وعندى عشرات الأحاديث الماثلة لهذا الحديث الشريف التي تجرّم من يأخذ أرض الناس بغير حق أو يستولى على أموالهم قسراً ، وتعتبر ذلك جريمة لا يرضى عنها خلق أو دين .

وفي هذا الخط يوثقنا شيخ الإسلام حين يقول : « وإذا كان الأصل في الإسلام هو حرية الفرد في المال في إطار المبادئ العامة للإسلام فإن الشيوعية تعارض ذلك في شدة . لقد استولت على الثروات والملكيّات في جبروت وقهر ولم تسمح للفرد بالحرية في المال والثراء . فإذا كان الإسلام والشيوعية في تعارض في العقيدة فإنهما في تعارض في الاقتصاد » (١) .

ولولاجهل المؤلف بالإسلام لما احتجنا إلى كل هذا الحوار ، فلعله فهم ، فإذا عجز بعد ذلك عن الفهم ، فما ضرنا كما يقول سعد زغلول إذا لم يفهم البقر ؟ ! ...

ونتجاوز عن ألفاظ المؤلف السوقية وهي كل حصيلته من الفهم والتمييز مثل قوله « إنه الحق المدمر المحنون على الثورة وقائدها حقداً شخصياً » ثم نتجاوز عن التشكيك في وطنيتنا بقوله « إننا نقدر المستعمر » وإننا « نخونه » وإننا « نحكم الضغينة والحق والعوامل الشخصية في المسائل السياسية والقضايا الوطنية » .

(١) من حديث الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر في آخر ساعة في ٣٠ يوليو ١٩٧٥

ويشاركنا الأستاذ توفيق الحكيم والدكتور أحمد شلبي في الحقد المدمر والخنون على الثورة وقائدها ، وفي تقديسنا للمستعمر ، وفي الخيانة وتحكيم الضغينة والعوامل الشخصية في النظر للقضايا الوطنية !

كل ذلك لأننا نقدنا الرئيس الراحل حين ورط البلاد في حرب السويس سنة ١٩٥٦ وقد بنينا رأينا على أن الحرب لم تؤت ثمارها لأسباب منها أولاً: أن القناة كانت ستعود إلى مصر في أقل من عشر سنوات دون حرب ودون تعويضات .

ثانياً : أن تأميم القناة للاستعانة بدخلها في بناء السد العالي كان يمكن إرجاؤه للأسباب التي أوردناها في (أولاً) ولأن الروس تكتلوا بالتمويل .

ثالثاً : إذا صح ما ذكره المؤلف بأن حصيلة دخل القناة في السنوات التالية لحرب السويس كانت ستمائة مليون جنيه ، وأن التعويضات قد بلغت مائة مليون جنيه فقط ، وبذلك ربحتنا خمسمائة مليون جنيه ، فنذكر له أن خسائرنا كانت أفدح جداً من مكاسبنا ونبصره بذلك فيما يلي :

أولاً: خسرتنا معدات حربية تركناها في الميدان جديدة لم تستغل بنحو ثلاثة آلاف مليون جنيه وقد باعها إسرائيل لبعض دول إفريقيا .

ثانياً : راح من شهدائنا في تلك الحرب التي لم يكن لها ضرورة وليس فيها تكافؤ ونتيجتها معروفة ، عشرات الألوف بين قتيل وجريح .

ثالثاً : كانت هزيمتنا فضيحة لا يتحمل وزرها جيش مصر ، لأن الذي حارب في معركة السويس سنة ١٩٥٦ كان جيش عبد الناصر ، والذي حارب سنة ١٩٦٧ كان جيش عبد الحكيم عامر ولم يحارب جيش مصر إلا في أكتوبر سنة ١٩٧٣ .

رابعاً : فى حرب السويس سنة ١٩٥٦ تقهقرنا بلا نظام ودمرنا مصافى البترول وتخليتنا عن الأراضى والمدن والقرى فى هزيمة هى مضرب الأمثال بين الهزائم ، وإن ذكرت صحف السلطة وغنت إذاعتها بآتها كانت عناوين البطولات ...

خامساً : وهناك مسائل مادية أخرى لم تدخل فى حساب المؤلف وهو يجمع وي طرح ، فقد نسي أن تطهير القناة وإعادة صلاحيتها للملاحة كلفنا عشرات الملايين من الجنيهات ، فضلاً عن كساد مدنها التى قاطعتها قوافل السفن وهى تعبرها ، وحرمت بذلك رزقها ، ولم تتجاوب معها هذه القوافل إلا بعد أن فتحها وعمرها الرئيس السادات فى يونيو ١٩٧٥ وأقبل عليها رجال الأعمال عرباً وفرنجة من كل فج عميق .

إن مؤلف الكتاب قد فاته أننا ننقد القرار التشجى الذى صدر بتأميم القنال ولا نتحدث هنا عما كان يمكن أن يكون عليه موقفنا لو كان الأمر بيدنا .

لو كان الأمر بيد مصر ما غامرت بتأميم القنال ، ولكن الأمر كان بيد الرئيس الراحل وحده ، فقد كان وحده صاحب القرار ، وعليه وحده أن يتحمل المسؤولية أمام التاريخ وأمام الضمير العام ...

أما عن الانفتاح والاشتراكية ، فقد خلط جهل المؤلف بين الاشتراكية والشيوعية ، فأنجلترا بلد اشتراكي وحكومتها أمت كثيراً من مصادر الإنتاج بيد أنها لم تصادر أملاك الناس وأرزاقهم .

إنجلترا الاشتراكية لم تفعل مثلما فعلنا ، وقامت مثلاً بوظيفة الندل

(الجرسون) يقدم القهوة والشاي وكؤوس المنكر للمواطنين ويعدهم لموائد الغداء والعشاء في محل (لاباس) في شارع قصر النيل .

ولم تدخل إنجلترا الاشتراكية منافسة في بيع الدجاج كما هو حاصل عندنا في المجمعات ، أو زاحمت القطاع الخاص في بيع الأحذية كما هو جار في محلات (باتا) أو نزلت سوق المانيقاتورة كما هو واضح في بنزاويون والصالون الأخضر ...

والاشتراكية في إنجلترا لا تحارب القطاع الخاص فيما تخصص له هذا القطاع من أعمال وتجارات ، ولا تعوق نشاطه بالقوانين المجحفة إذا أراد تصديراً أو استيراداً ، وحرية التجارة مكفولة للقطاعين العام والخاص على السواء ...

نرى ذلك في إنجلترا وفرنسا وأكثر دول الغرب من الشمال إلى الجنوب ، ومعظمها دول اشتراكية ، ولكنها لم تقل قط بما ذهب إليه المؤلف العالم في الاقتصاد ، والذي يرى أن الاشتراكية هي امتلاك الدولة لكل نشاط اقتصادي في البلاد :

الشيوعية وحدها — والمؤلف من أنصارها — هي التي كان يراد لنا أن نمضي في سياستنا الاقتصادية على هواها حتى نصل إلى الاقتصاد الموجه العنيف الذي يقتل كل نشاط فردي ويقضي على كل جهد شخصي ، الأمر الذي تداركته الدولة أخيراً ، وانتقلت إلى اقتصاد متفتح منطلق يسمح برعوس الأموال الأجنبية والعربية ويرحب بمجهود كل مواطن يجد ويبتعد على أن ينال جزاء جده واجتهاده ، آمناً على نشاطه وكفاحه ، لا يهدده

نحجن أو حراسة أو مصادرة ...

ويقول المؤلف عن كتابينا (نفاقستان والوسواس) إنهما « مائتان بالقصص والحكايات عن الاختلاسات والمفاسد والسرقات والإرهاب والدكتاتورية وهى مزيج من الإشاعات والتشنيع وحكايات المقاهى » ثم نزعم أننا لم نقدم أى دليل على ذلك ؟

وأحيل المؤلف إلى حكم القضاء الذى صدر لصالح المستشار جريشة ، وهو واحد من عشرات الألوف من المعتقلين الذين عذبوا فى عهد عبد الناصر ، وفى حيشيات هذا الحكم بيان بقصص الإرهاب وشرح لأدوات التعذيب ووصف مفصل للأعمال التى قام بها زبانية ذلك العهد فى تعذيب الناس وإهدار كرامة الإنسان (١) .

وأحيله إلى كتاب النائب العام السابق محمد عبد السلام عن الاختلاسات والمفاسد والسرقات والرشاوى وهى جميعاً قضايا مدعمة بالوثائق والأسانيد وقد رفض ذلك العهد تقديم أى واحد من هؤلاء المختلسين المفسدين للصوص المرتشين إلى المحاكمة (٢) .

ونحيله أيضاً إلى حديث المحامى العام لجريدة الجمهورية وهو تحت عنوان (الحقائق العامة التى يكشفها المشرف على تحقيقات قضايا التعذيب) والذى ختمه بقوله : «أصبحت أعتقد أن تحقيق هذه القضايا والاهتمام بها بالإضافة إلى أنه عمل تقتضيه العدالة حتى يؤخذ بالقصاص ممن ارتكب

(١) فى الزنازة تأليف المستشار على جريشة ١٩٧٥ .

(٢) ذكريات عصيبة بقلم النائب العام السابق محمد عبد السلام .

جرماً في حق أخيه فإنه واجب وطني لما يتضمنه من دروس عن الماضي للحاضر والمستقبل يتلقاه كل من بيده السلطة حتى لا ينحرف بها وأنه إذا لم يتق الله في عمله ويخشاه فإن عدالة السماء في انتظاره وعقاب الأرض له بالمرصاد » .

ويعتذر المحامي العام عن صراحته التي سجلناها في السطور السابقة ، راجياً أن يغفر له منصبه ذلك ، فقد جاش بها صدره حين صدم بوقائع التعذيب التي « لحقت بكثير من المواطنين » (١) .

وأخيراً نحيل المؤلف والقارئ معاً إلى فصل (مالكم وفرعون) وهو فصل مسجل في كتابنا هذا ، وقد نشرنا فيه فقرات من كتاب المؤلف وهو يتحدث عن طغيان نظام عبد الناصر ومفاسده والمسؤولين التافهين وحكم الفرد وكرهيته لأي دور يقوم به الشعب ، وغير ذلك من تأثيم لعهد الرئيس الراحل ، وهي أحكام قاسية ضد النظام الناصري سجلها مؤلف « عبد الناصر المفترى عليه » ثم يتهمنا نحن بالإشاعات والتشيع ؟! ...

إننا لم نقل في ذلك العهد السعيد أكثر مما قال المؤلف ، ومن هنا كانت وثائقنا ووثائقه ... من قهوة واحدة ...

أما اتهامنا بأننا نعيب على البعض نفاقهم لعبد الناصر ونناق في الوقت نفسه السادات — وإن خانته الشجاعة فلم يذكر اسم الرئيس — فتلك كذبة ضخمة وفرية مردودة ، لأننا حين نذكر للسادات إخلاءه السجن والمعتقلات ، وأنه رد الحقوق لأصحابها الذين سرقهم ونهبهم العهد الماضي ،

ونسجل بالحمد والثناء هذه الحرية التي نستمتع بها في عهده ، لا يعنى ذلك نفاقاً ، لأننا بطبعنا لا نعرفه ولم يؤثر عن تاريخنا أننا نافقنا الملك أو عبد الناصر ، ولم يكن هناك مبرر لنفاق هذا أو ذاك ، فقد عشنا سلاطين ، لأننا دائماً بعيدون عن السلطان . وإنما نحن نؤرخ لعهد نعيشه ونرى آثاره الطيبة في معظم المجالات ، وليس لنا عند السادات حاجة وليس له علينا يد أو معروف ، فإذا قلنا فيه كلمة حق فإنما نقولها لوجه الله والتاريخ .

ولن أطارد المؤلف في نقده لكتابه بعد ذلك ، فقد فندت كل ما جاء في هذا النقد ، ولا علينا من أنه يخلط بين الرقابة على الكتب والرقابة على البرق والهاتف والبريد ، فزعم — دون أن يفهم ما قرأ — أننا ناقضنا أنفسنا ، فذكرنا في رسائل من نفاقستان أن الرقابة رفعت ثم قلنا في الوسواس الخناس إنها باقية ..

والذى لم يفهمه المؤلف أن الرقابة رفعت عن البرق والهاتف والبريد كما جاء في نفاقستان وأنها باقية على الكتب كما جاء في الوسواس ...

ومن الكلمات المبتذلة التي كررها المؤلف في كتابه وأقحمها في شتائه مناسبة وغير مناسبة ، كلمة (رجعية) فكل من طالب بالحرية أو الديمقراطية أو قيام الأحزاب رجعى ، وكل من دعا إلى اقتصاد حر أو متفتح رجعى ، ورجعى كل من ينتقد الحكومة في منافستها للقطاع الخاص بتعيينها الأندال في الدارات والقهوات وبيع الأقمشة والأحذية والدجاج .

ما التقدمي من أمثاله الماركسيين وأبناء عمهم الناصريين فيدعون إلى سيطرة الشيوعية على البلاد ، لتؤم كل شىء فيها ، وتحكم الشعب بالعصا (م ٩ - تاريخ)

والكرباج ، وينفرد أصحاب الفكر والدعوة وأذنانهم بالسلطان ومغانم السلطان ، ويقيموا المودة مع دول الشرق وحدها ليصبحوا تابعين لها ساجدين في فلكها ، أما من يقرىء الغرب السلام فذلك هو الخائن المنحرف الرجعى الجبان ، عدو الشعب وعدو التحولات الاجتماعية والمنجزات الفرعونية ، وخصم المد الثورى ، وغير ذلك من ألفاظ شيوعية واضح منها سقم النقل والترجمة ورتابة المعانى في غير انسجام ...

ولم ينبج من وقاحات واتهامات مؤلف هذا الكتاب كثير من أعلام مصر الذين لهم في مواقعهم مقام الصدارة كالأستاذ توفيق الحكيم والأستاذ الدكتور أحمد شلبي والأستاذ مصطفى أمين والأستاذ على أمين والأستاذ أحمد أبو الفتوح .

وإني لأعلم أن أياً من هؤلاء الأعلام قادر على أن يشرح القتي وكتابه بأدق وأقصى وأمتع مما أستطيع ، وإنهم لقادرون بوضعه على السفود ليستوى منطقته ويظهر من بذى القول وعبارات السوق والدعائم التي احتوى عليها كتابه الفطير .

وأراني سعيداً حين آخذ هذا الواجب عنهم دون استئذنانهم ...

وإني له ولعشرات مثله ، قلماً وطبعاً ونشراً ...

ولا أريد أن أتعب السفسطة التي سجلها المؤلف في فصل توفيق الحكيم غير أنني عجبت للتساؤل الغريب الذي وجهه للحكيم عما تحدث عنه الرجل في كتابه (عودة الوعى) من فقدان المعارضة والرأى في عهد عبد الناصر ، عما سمعه الحكيم عن أساليب التعذيب الجهنمية ومطالبته بفتح تحقيق

فيها، فيقول « وأين كان هو ؟ ما الذى فعله ليعبر عن معارضته لكل ذلك ويسجل موقفاً يحسبه له التاريخ . »

وما أثنى السؤال ؟

وأثنى منه قوله « إن الإنسان ليشعر بالأسى العميق حين يقارن بين موقف الحكيم ومواقف آخرين مثل برتراند رسل فى إنجلترا وجان بول سارتر فى فرنسا وغيرهم من المفكرين والأدباء الذين عبروا عن معارضتهم بمختلف الأشكال . بالتظاهر . بالجلوس فى الشوارع احتجاجاً على ما اعتبروه خطأ . »

ونجيب السيد السند على سؤاله فنذكر له ما فاتته وما لا يعلمه وهو أن راسل وسارتر وغيرهما مواطنون فى بلاد متحضرة يسود فيها القانون والناس فيها أحرار ، ولا يملكون فقط حق الاعتراض بالجلوس فى الشوارع أو التظاهر بالهتافات ، بل إنهم ينشطون فى حديقة (هايد بارك) فى لندن ، ويلعبون الملوك ويسبون رئيس مجلس الوزراء بألفاظ تشبه ألفاظ صاحب عبد الناصر المفترى عليه وهو يناقشنا ، وهى ألفاظ بذينة نابية يعاقب عليها القانون .

أما فى عهد عبد الناصر فإن المحنون هو الذى يقدم على الانتحار ...

ويتساءل المؤلف ، لماذا لم يكن الحكيم مجنوناً ؟

لأن عبد الناصر سوف يرد على تظاهر الحكيم وجلوسه فى الشوارع باعتقاله وخوزقته (١) .

(١) أى إجلاسه من الشرج على الخازوق وهو قضيب أشبه بالسيف ، وكان ذلك من ألوان التعذيب السائدة فى مصر والعالم حتى أوائل القرن التاسع عشر .

وهو لون من التعذيب يشبه ما يمارسه زبانيته وهم يسوسون أمور المعتقلين في السجون !!..

ويزعم المؤلف أن سن الحكم وهى الستون إذ ذاك كانت كفيلة بحمايته من المعتقلات والسجون ، ونسى الفقى النابه أن سيد قطب سجن وعذب وأعدم وهو فى مطلع السبعين ، وأن الهضبي اعتقل وأهين وضرب وعذب وقد تجاوز الثمانين ...

وقد نال ما نال قطباً والهضبي من إهانات وتعذيب كثير من أعلام مصر ومجاهديها وقد بلغوا الستين أو تجاوزوها من أمثال الدكتور محمد صلاح الدين وزير الخارجية الوفدى وإبراهيم عبد الهادى زعيم الحزب السعدى ، بل أهين وعذب كثيرون من عامة الشعب من العمال والفلاحين الذين تجاوزوا عن العمر السبعين والثمانين لأنهم قالوا نكتة أو همسوا بتعليق على نكبة البلاد والعباد ، ولم يتعرضوا للسلطان بمظاهرة ، ولم يسدوا الطريق بالجلوس فى الشوارع كما كان يريد لهم أن يفعلوا صاحب عبد الناصر المفترى عليه .

ويتعجب المؤلف كيف لم يحتج الحكيم على عبد الناصر لاعتقاله العديد من العمال والطلاب فى تظاهر سخطاً على الأحكام الناعمة التى صدرت ضد المسئولين فى الطيران عن كارثة الهزيمة المنكرة فى سنة ١٩٦٧ بينما احتج لدى السادات على اعتقال الطلبة سنة ١٩٧٣ وقابل الرئيس وتحدثا فى الأمر معاً !

ولم التعجب يا فقى !؟

— ١٣٣ —

السادات يحكم في ظل الدستور وسيادة القانون وفي جو من الحرية
يتيح للأحرار أن يجتمعوا به ويحاجوه ...

وعبد الناصر يحكم بالحديد والنار ، وليس في خلفياته دستور ولا قضاء
ولا قانون ...

ثم يعيب المؤلف على الأستاذ توفيق الحكيم أنه لم يحتج لدى عبد الناصر
على طرده مع بعض زملائه الصحفيين من مواقعهم حين تولى الدكتور
حاتم وزارة الإعلام سنة ١٩٦٤ ؟
لأنه يا أخى ... عبد الناصر .

ويتساءل كيف فات الحكيم أن يحتج في قضايا عبد الحكيم عامر
وصلاح نصر وشمس بدران ؟
لأنه يا أخى ... عبد الناصر ؟

ويعاتب الحكيم في شدة على أنه لم يحتج على العزل الجماعى للقضاة ؟
لأنه يا أخى مرة ثالثة وأخيرة ... عبد الناصر ؟

وهذا الكاتب الشجاع الذى يعيب على توفيق الحكيم تقاعسه عن
الاحتجاج ، ويطلب منه أن يقوم وحده بمعارضة عبد الناصر . لماذا
لم يستغل شبابه وشجاعته ويتولى هو الاحتجاج على كل ما فات الحكيم
الاحتجاج عليه ؟ ...

وهل كان يمكن لهذا الفتى الشجاع أن يسجل في عهد جمال عبد الناصر
وفي وجوده من رأى نشرناه له في هذا الكتاب في فصل (مالمكم وفرعون)
وفيه وصف المؤلف عبد الناصر بأنه « عدو للعمل السياسى المنظم ولدور

الجماهير والأحزاب » وأنه اعتمد على « تنظيم رجعى هو الاتحاد القومى » وأنه اختار لمعاونته « شخصيات هزيلة وتافهة كل مؤهلاتها الولاء المطلق للشخص » إلى غير ذلك من آراء جريئة وشجاعة ونبيلة ... ولكنها للأسف الشديد لا تحسب له فى التاريخ ، لأنها كتبت ونشرت بعد أن مات عبد الناصر ومضت على موته سنون ؟! ...

يا فتانا الجرىء الشجاع !

هل بلغت قصة الرسالة التى كتبها الحكيم لعبد الناصر قبل وفاته بشهور؟ لقد كتب الرجل رسالة رقيقة عذبة ليس فيها احتجاج بل هى فى جملتها رجاء لصالح الرئيس ، كتبها وهو يقدم رجلاً ويؤخر رجلاً ، ينصح بأن يبقى الرئيس على هيكل بعيداً عن منصب الوزارة حتى لا يفترقه قراؤه فى الأهرام (١) .

رسالة رقيقة عذبة منطقية مفيدة للرئيس ، كتبها صاحبها ثم قرأ آية الكرسي قبل أن يعطيها لزوج ابنته حاتم صادق ! ليسلمها بدوره للرئيس ليقرأها وحده ولا يراها أحد ولا تنشرها جريدة ولا يطلقها مذياع ...

وقرأ الرئيس الرسالة وأهملها ثم نقل إليه أن الأستاذ لطفى الخولى وقرينته ، وسكرتيرة الأستاذ هيكل وزوجها قد علموا بمضمون الرسالة ، فقامت الدنيا وقعدت .

دعى الأربعة إلى التحقيق أياً وألياً متصلة ، وكانت المخبرات قد سجلت لهم ما دار من حديث عن الرسالة وهم فى جلستهم العائلية ، ولم يكن

(١) توفيق الحكيم . وثائق فى طريق عودة الوعى .

فى حديثهم ما يشين أو يضير أحداً .

ثم ماذا؟ حولت رسالة الحكيم إلى النائب العام بخطاب من سامى شرف ،
ثم قبض على الأربعة وأمضوا فى السجن ستة أشهر بـلاتحقيق ، وكأنهم كانوا
يتدارسون منشوراً ثورياً كتبته الحكيم يدعو فيه للثورة على عبد الناصر
ونظام حكمه البوليسى البغيض ؟

ثم يتخذى المؤلف فى سفسطه فيعيب على الأستاذ توفيق الحكيم الذى
ينتقد الحكم الناصرى بأسلوبه الموضوعى البناء ، ويرى أنه بذلك يقف إلى
جانب الرجعية ، ويصف المؤلف صاحبها فى أدبه المأثور بأنه « دجال
ونصاب وكذاب » . وهذا كلام بئىء لا ينطق له ، نسمع مثله فى الحوارى
ينطلق من أفواه السوقة من النساء فلا يستحق منا الرد أو التعقيب .

وينجى دور مصطفى أمين ...

إنه يهاجمه ويصفه بالعمالة لأنه صديق الأمريكان ...

لقد نسى المؤلف أن صداقة الأمريكان كانت حجر الزاوية فى تفكير
الثوار عندما قاموا بثورتهم ، وآية ذلك أن واحداً من زعمائهم وهو جمال
سالم اعترض على ترشيح السنهورى لرئاسة الوزارة لأن أمريكا لن ترحب
بهذا الاختيار (١) .

لقد استمرت الثورة لفترة معلومة على مودة وصلات قوية بالسفير
الأمريكى وكان لها مندوب « سام » عند السفارة هو السيد على صبرى :

وكذلك كان الأستاذ محمد حسنين هيكل على صلات طيبة بالأمريكان
وتربطه صداقة قوية ببعض رجال السفارة في القاهرة (١) .

ولم يهتم أحد جمال سالم أو هيكلًا بالخيانة أو العمالة ، وأنه يستحق
كل هذه النعوت التي خلعتها المؤلف في كتابه على مصطفى أمين ، والتي
يردها بشأنه « أبناء العم » من ماركسيين وناصرين وقذافيين .

وبصدر المؤلف أحكاماً بالإعدام على كل من قال كلمة طيبة عن عهد
الملك في عهد الملك ، ويقول عن ذلك إنه نفاق رخيص وإن صاحبه
انتهازي وكافر وملحد وزنديق .

لقد نقل لنا شيئاً مما كتبه مصطفى أمين ليدل على أنه كان إلى جانب
الملك في معركته مع زعيم البلاد العظيم مصطفى النحاس .

إنه لا يعلم ، ولعله كان حدثاً صغيراً لم يشب عن الطوق بعد ، أن
الخلافات السياسية في ذلك الوقت واضطراع الآراء إذ ذاك كانت طابع
الجيل الحر الذي عشناه ، وأن أنصار النحاس كالوا مصطفى أمين الصاع
ألف صاع ، ولم تكن نحن إلى جانبه في ذلك الصراع ، بيد أننا لم نر فيه
قط أنه خائن ، ونطارده بالقول المقذع والعبارات النابية كما يعامل المؤلف
كل من يخالفه في رأى من الآراء .

وهل كان مصطفى أمين وحده الذي رأى في الملك رأياً حسناً ؟
لقد خطب أستاذ عالم وأديب خالد — طيب الله ثراه — خطب في
آخريات عهد الملك في افتتاح معهد الصحراء على ما أذكر ، وبدأ موجهاً

الكلام إلى الملك « سيده وابن سيده وحفيد سيده » بيد أننا غفرنا لأستاذنا الجليل هذه الحاملة الثقيلة على نفوسنا ، لأن له أجاداً في ميادين الفكر والعلم ، ومنهجاً في اشتراكية التعليم سوده بقانون في آخر حكومة دستورية حكمت البلاد .

ولم نصف أستاذنا العظيم بالنفاق حين قال في خطاب آخر كلمة حلوة في محمد نجيب ، وحتيا بعد ذلك عبد الناصر وشبابه ، وقعد به المرض عن مزيد من المدح والثناء .

إن أعلام مصر في كل موقع من مواقع العلوم أو الفنون أو الآداب ، لهم في هذا الميدان هبات ، ربما فرضتها الظروف أو لعلها من طبائع الأحياء . لقد غنت أم كلثوم وغنى عبد الوهاب للملك أكثر من أغنية في أكثر من مناسبة ، كما غنى كلاهما ، وبحرارة ، ومثلهما عشرات من مطربي مصر غنوا جميعاً مئات الأغاني في عبد الناصر ومنها أغنية ... لبيك .. لبيك عبد الناصر .. وهذا دعاء اختص به الله سبحانه ومن جاوزه لبشر كان ذلك منه قمة الكفر والإلحاد .

وهذا الذي يعييه المؤلف على مصطفى أمين لم يكن منذ مطالع القرن العشرين حتى أيامنا المعاصرة مقصوراً على زيد أو عمرو من الناس ، وحتى أعلام الدين جاملوا أو نافقوا ، فقد كانت للملك صورة رتيبة أسبوعية تطاع بها الصحف صباح كل سبت مسجلة صلاته في هذا المسجد أو ذاك ، يقف فيها مرسل الذقن وفي شرف استقباله شيخ الأزهر والمنتقى ورهط من أصحاب العمامة حملة الهدى وسدنة الإسلام ، وكانت سيرة الملك وقتئذ تنفض الوضوء وتفسد الصلاة ؟! ...

وحتى الجيش لم يسلم من النفاق فى عهد الملك ، فاما من فرصة أتاحت
إلا وكان ينافس فى كثير مما ذكرناه ، وبينما كانت القاهرة تحترق فى
٢٦ يناير ١٩٥٢ كان الجيش يتناول الغداء عند السلطان !

إذا أردنا صورة للنفاق ، فلنرجع إلى الأيام التى عشناها منذ قامت
الثورة ، فقد كانت زاخرة بأروع ألوان النفاق ...

أما مصطفى أمين فقد كانت له آراؤه السياسية التى اختلفت مع آراء
حزب الوفد الذى سادت مبادئه البلاد ، ولم يؤجر كـ بعض كتاب اليوم من
وراء الحدود ، وخاصة كتاب اليسار وكتاب القذافي خصم مصر والسادات ،
بل كانت خصومته للوفد نابعة من ذاته ، ملتقمة فى هواها مع خصومة
الملك للنحاس .

وفى خصومة مصطفى أمين للنحاس كتب مصطفى فى سنة أولى سجن
ينعى على نفسه تورطها فى خصومة ذلك الزعيم العظيم ويأسف أن كان لها
يوماً هذا الاتجاه ...

ومصطفى أمين رجل عام ، فإنه بالرغم من خصومته للوفد كان
صديقاً لكثير من أعلام هذا الحزب وفى مقدمتهم فؤاد سراج الدين ،
وصديقاً لكثيرين من رجال الأحزاب الأخرى سواء كانوا يمشون فى
خطه أو يقفون لهذا الخط بالمرصاد .

وحين قامت الثورة لم تمض إلا فترة قصيرة واكتسب احترامها
وتقديرها وكان من أقرب المقربين إلى الرئيس الراحل الذى انتهت صداقته
بمصطفى أمين كما انتهت مع عديد من الأصدقاء بالسجن والاعتقال وأشنع
ألوان التعذيب ...

ومصطفى أمين صاحب مدرسة في تاريخ الصحافة المصرية تخرج فيها آلاف التلاميذ ، ومن بينهم محمد حسنين هيكل ومعظم الذين يحررون صحف مصر الآن على اختلاف مذاهبهم السياسية والاجتماعية .

وقد نشر المؤلف مقالاً لمصطفى أمين أيام الحرب العالمية الثانية لم يجز الرقيب نشره يومئذ ، وكان ذلك في يوليو سنة ١٩٤٢ ، وفيه يحيي الكاتب الملك فاروقاً بمناسبة توليه سلطته الدستورية ، واعتبر هذا المقال نفاقاً وزلفى ، وأنه - أى المقال - كفيل بأن يسقط اعتبار مصطفى أمين .

لأن الفتى المؤلف كان حدثاً أو طفلاً رضيعاً عند مصادرة هذا المقال لا يعلم أن الملك فاروقاً في ذلك التاريخ كان يستمتع بتأييد وعطف قطاع عريض من رأى العام ، لأنه في تلك السنة أى في سنة ١٩٤٢ هاجمته الدبابات البريطانية في قصر عابدين ، وكاد الإنجليز أن يخلعوه عن عرشه لولا أن أنقذه النحاس بقبول الوزارة في ذلك الحين .

والشعب يكره الإنجليز وهو مستعد للتجاوب مع الشيطان إذا اختلف معهم ، وكان هذا الشيطان الملك فاروق ...

ويختتم المؤلف كتابه بأسوأ ما يهتم به مؤلف بلغ القبح في السفه والكذب والتضليل .

لم يجد كلمة سوء يقولها في أحمد أبو الفتح ، فهو مدرسة في قوة الخلق وصلابة الفكر ، وقدوة في نظافة اليد والسيرة واللسان ، ومجاهد يقول كلمة الحق في غير هيبة أو وجل ، وقد قالها أكثر من مرة لزعيمه النحاس ، وهو من هو في ضمير أبى الفتح ومصر والناس ؟

وهو الأمين على سر الثوار حين كانوا يعملون تحت الأرض ، وهو الذى قاد الإعلان والدعاية فى جريدته (المصرى) فى شجاعة فجر قيام الانقلاب بينما انكسرت وذعرت واضطربت أكثر الصحف والمجلات .

وهو أول من قال .. لا .. لأصدقائه الثوار ، وأصر عليها فى شموخ الأحرار فأغلغوا جريدته (المصرى) وصادروا أملاك أسرته واحتلوا شقته وبددوا أثاثها وسرقوا محتوياتها ، ونفى شقيقاه وهاجر هو وبقي شريداً بلا مال أو جنسية عشرين عاماً وبضعة شهور .

لم يجد المؤلف كلمة سوء يقولها من عنده فى أحمد أبو الفتح فاقبض مقالاً بديلاً من مجلة شيوعية قليلة الانتشار .

وقال المقال شيئاً مضحكاً ، إذ اتهم الكاتب أحمد أبو الفتح بأنه سكير وزير نساء ...

وما من أحد فى مصر والوطن العربى إلا ويعلم أن أحمد أبو الفتح رجل مؤمن بربه يقوم على الصلاة فى أوقاتها ، ويصوم الشهر ويؤتى الزكاة ، وقد عصمه الله عن الزلل ، ولم يذق الخمر فى حياته ، بل يجامله أصدقائه فلا يقدمون الخمر على موائدهم إن دعى إلى طعام عند واحد من هؤلاء الصاحب الكثر .

وانتهت قصة هذا الكتاب الذى قام على الضلال والتضليل ، ووقف من ورائه أولاد العم من ماركسيين وناصرين وقذافيين .

لم يوفق كاتبهم فى نقاش قضية واحدة ، ولم يوفق إلا فى نشر سيل من القذف والسباب لم يقصره علينا نحن المقترين على عبد الناصر ، بل ضم إلينا عبد الناصر نفسه حين عرض له فى مجال الإكبار والإجلال والتأييد ...

كتب للمؤلف

١ - في الصحافة

- ١ - تاريخ الطباعة والصحافة في مصر خلال الحملة مكتبة الآداب الطبعة الأولى ١٩٤٠
الفرنسية مكتبة الآداب الطبعة الثانية ١٩٥٠
- ٢ - تاريخ الوقائع المصرية (١٨٢٨ - ١٩٤٢) مطبعة بولاق الطبعة الأولى ١٩٤٢
مكتبة الآداب الطبعة الثانية ١٩٤٢
- ٣ - تطور الصحافة المصرية وأثرها في النهضة مكتبة الآداب الطبعة الأولى ١٩٤٤
الفكرية والاجتماعية مكتبة الآداب الطبعة الثانية ١٩٤٥
مكتبة الآداب الطبعة الثالثة ١٩٥١
- ٤ - أعلام الصحافة العربية مكتبة الآداب الطبعة الأولى ١٩٤٤
مكتبة الآداب الطبعة الثانية ١٩٤٨
- ٥ - حول الصحافة في عصر إسماعيل (حقائق غير مطوية) مكتبة الآداب الطبعة الأولى ١٩٤٧
- ٦ - جريدة الأهرام : تاريخ مصر في خمس وسبعين سنة دار المعارف الطبعة الأولى ١٩٥١
- ٧ - جريدة الأهرام : تاريخ وفن سجل العرب الطبعة الثانية ١٩٦٤
- ٨ - Etudes Journalistiques En Europe جامعة القاهرة الطبعة الأولى ١٩٥١
- ٩ - دراسات في الصحافة الأوروبية مكتبة الآداب الطبعة الأولى ١٩٥١
(تاريخ وفن) مكتبة الآداب الطبعة الثانية ١٩٥٢
- ١٠ - أبو نظارة إمام الصحافة الفكاهية مكتبة الآداب الطبعة الأولى ١٩٥٣
المصورة وزعيم المسرح في مصر
- ١١ - الصحفي الثائر روز اليوسف الطبعة الأولى ١٩٥٥
- ١٢ - روز اليوسف (سيرة وصحيفة) سجل العرب الطبعة الأولى ١٩٦١
- ١٣ - الصحافة في الولايات المتحدة : نشأتها وتطورها سجل العرب الطبعة الأولى ١٩٦١

٢ - في التاريخ والتراجم

- ١٤ - في السودان دار مجلتي الطبعة الأولى ١٩٣٦
مكتبة الأنجلو الطبعة الثانية ١٩٤٦
- ١٥ - تطور النهضة النسائية في مصر (بالاشتراك) مكتبة الآداب الطبعة الأولى ١٩٤٠
- ١٦ - تذكارات طلعت حرب (بالاشتراك) مكتبة الآداب الطبعة الأولى ١٩٤٥
- ١٧ - سجل العرب (في ألف صفحة بثلاث لغات) سجل العرب الطبعة الأولى ١٩٦٠
سجل العرب الطبعة الثانية ١٩٦١
- ١٨ - إنسان الجزيرة مكتبة الآداب الطبعة الأولى ١٩٥٤
- ١٩ - سيرة من الحرمين سجل العرب الطبعة الأولى ١٩٦١
- ٢٠ - قصة المطبعة سجل العرب الطبعة الأولى ١٩٦٠
سجل العرب الطبعة الثانية ١٩٦٧
- ٢١ - قصة الجريدة سجل العرب الطبعة الأولى ١٩٦٠
سجل العرب الطبعة الثانية ١٩٧٣
- ٢٢ - السندباد العربي في الكويت سجل العرب الطبعة الأولى ١٩٦٥
- ٢٣ - دولة الكويت الحديثة سجل العرب الطبعة الأولى ١٩٦٢

٣ - في الأدب

- ٢٤ - الحياة الثانية مكتبة الآداب الطبعة الأولى ١٩٣٢
مكتبة الآداب الطبعة الثانية ١٩٤٤
مكتبة الآداب الطبعة الثالثة ١٩٤٧
كتب للجميع الطبعة الرابعة ١٩٥٠
- ٢٥ - في المصايف مطبعة سكر الطبعة الأولى ١٩٣٤
- ٢٦ - الناموس معادن سجل العرب الطبعة الأولى ١٩٦٠

— ١٤٣ —

٤ - في السياسة

- | | | | | |
|------|---------------------|--------------|----------------|------|
| ٢٧ - | الثور في متحف الحرف | مكتبة الآداب | الطبعة الأولى | ١٩٥٣ |
| ٢٨ - | رسائل من نفاستان | سجل العرب | الطبعة الأولى | ١٩٧٣ |
| | | سجل العرب | الطبعة الثانية | ١٩٧٣ |
| | | سجل العرب | الطبعة الثالثة | ١٩٧٤ |
| ٢٩ - | الوسواس الخناس | سجل العرب | الطبعة الأولى | ١٩٧٤ |
| | | سجل العرب | الطبعة الثانية | ١٩٧٤ |
| | | دار الشروق | الطبعة الثالثة | ١٩٧٥ |
| ٣٠ - | تاريخ بلا وثائق | سجل العرب | الطبعة الأولى | ١٩٧٥ |

مطابع سجل العرب
٩ شارع عمارة الدين - ت ٩٣٢٧٠٦

رقم الإيداع بدار الكتب ٤٦٠٥ سنة ١٩٧٥

تقرأ في هذا الكتاب

- * هل فجر هيكل ثورة ٢٣ يوليو ؟
- * التاريخ يكشف عن الأبطال المغمورين الذين فجروها ...
- * الحكومة لا تكتب التاريخ والتاريخ لا يكتب بقرار ...
- * هيكل وتاريخ الهوى ...
- * على الروس ديون مصر يجب أن يسددوها ... مع فترة سماح ...
- * ما لكم وفرعون .. إن لفرعون ميزات وحسنات ...
- * السيدة الأنيقة M.A تبيع طاقماً مسروقاً من منزل منى عبود ...
- * بعد جرد القصور أصبح الأول مليونيراً والثاني مالكاً لقصر بمدينة المهندسين
- * كفانا تدليلاً للأسماء والمسميات ... إنها جرائم لا سلبات ...
- * من الذى باع لليهود أرض فلسطين ؟
- * كيف جاءت مصر وتحررت وتسولت من أجل فلسطين ؟
- * دولة وهمية مع القذافي ويوم عرس وسط القنحة وسوء الأدب ...
- * جاء في الأثر : ولا تعلموا أولاد السفلة العلم ...

